

الْبَيْدَاءُ

فِي الْحِثِّ عَلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ

«تَعْرِيفًا - وَقَرْنًا - فَضْلًا - أَحْكَامًا - الْخُطْبَاتُ الْعَمَلِيَّةُ لِلْحَمَاطِيَّةِ عَلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ»

إعداد الدكتور

عبدالله بن محمد بن عبد الله بن حسين

دكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية



عبدالله بن محمد بن عبد الله بن حسين

دار الأمل

الإشاعة كندرية

تقديم الدكتور

محمد بن عبد الله بن حسين

استاذ الفقه الفارسي الساجدة الشريعة

تقديم فضيلة الشيخ

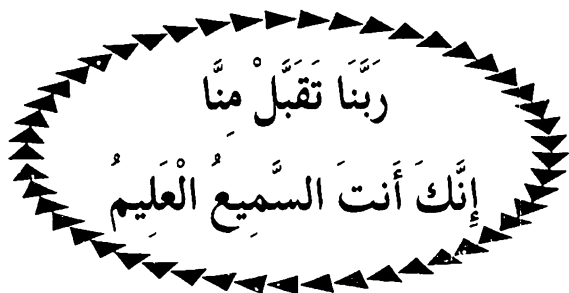
عبدالله بن محمد بن عبد الله بن حسين

أمين عام الدعوة ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر



الْبَدَلُ
فِي الْحَجِّ عَلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



محفوظ
جميع الحقوق



دار الإحياء
للطباعة والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الحياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون فاكس: ٥٤٥٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

الإهداء

- إلى خاتم المرسلين ﷺ ، الذي دلّنا على الخير وقادنا إليه .
- ثم إلى من يضيعون صلاة الفجر من أمة محمد ﷺ ، لعله أن يكون لهم تذكرة وعظة .
- ثم إلى المحافظين على صلاة الفجر ، أن أبشروا فقد ظهر في ثنايا البحث علو كرامتكم ، وحسن مآلكم بإذن الله تعالى .
- ثم إلى ابني الحبيب « عليّ » أسأل الله أن يجعله من المحافظين على صلاة الفجر .
- ثم إلى كل من أعان في إخراج هذا البحث ، بجهد أو وقت أو نصح .

تقريظ بقلم م . د / محمد هاشم محمود :

استاذ الفقه المقارن المساعد بكلية الشريعة جامعة الأزهر

الحمد لله حمداً لا يحصى عدد ، ولا يبلغ أحد ، والصلاة والسلام على نبيه ورسوله سيدنا محمد ، خير من ركع لله - تعالى - وسجد ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه أهل الخير والرشد .

أما بعد :

فيقول الله عز وجل : ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾ .
[الإسراء : ٧٨] .

ويقول النبي ﷺ : « من صلى البردين دخل الجنة » ^(١) ، والبردين : الصبح والعصر .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه - : « بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » ^(٢) .

وهذه النصوص الشريفة وما في موضعها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، حريّة أن تملأ القلوب المؤمنة شوقاً إلى الجنة ، وطمعاً في رضوان الله ، فتتحرك الجموع الكبيرة في ظلمة الفجر خارجة من البيوت إلى بيوت الله تعالى لتقضي فريضة من فرائضه ، ولتستفتح يومها بالوقوف بين يدي ربها ، مسبحة بحمده ، لاهجة بذكره ، ذليلة في محرابه ، تستمد منه العون والقوة ، وتسأله التوفيق والحفظ ، وتشكره على نعمه التي لا تحصى ،

(١) متفق عليه : البخاري (٤٣/٢) ، ومسلم (٦٣٥) .

(٢) أبو داود (٥٦١) والترمذي (٢٢٣) .

معاهدة إياه على طاعته وذكره وشكره ، وحسن عبادته .

ولقد كانت المساجد على عهد سلفنا الصالح تضيق بالمصلين في صلاة الفجر وكأنهم في صلاة الجمعة .

ثم خلفت خلوف غلبها الكسل ، وصرعها النوم واستزلها الشيطان ، فخلت المساجد - في صلاة الفجر خاصة - إلا من نفر قليل !!! .

من أجل هذا نهض فضيلة الدكتور الشيخ / عماد علي عبد السميع ، وهو من شباب علماء الأزهر ، ودعاته الموفقين ، إلى أداء واجبه في هذا المضمار ، فآلف هذا الكتاب النافع ، يستحث فيه العزائم ، ويوقظ الهمم ، ويذكر بما نسيه الناس من فضل صلاة الفجر .

ولقد مزج - حفظه الله - في هذا الكتاب بين الفقه والحديث والدعوة ؛ كما يمتزج اللون الجميل ، والطعم العذب ، والرائحة الزكية في شراب حلو طهور ، فسدد الله سعيه ، وقبل منه عمله ، ووفقني وإياه وسائر المسلمين إلى ما يحبه ربنا ويرضى .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

د . محمد هاشم محمود

أستاذ الفقه المقارن

المساعد بكلية الشريعة بجامعة

الأزهر بأسسوط



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقرير بقلم فضيلة الشيخ / عليّ محمود أبو الحسن

أمين عام الدعوة ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف



ربنا لك الحمد ما شئت أن نكون لك عابدين ، ولك الشكر ما رضيت أن نكون لك شاكرين ، وفيك الرجاء ما أقممتنا بين يديك مع الراكعين الساجدين ، ولك وحدك خاشعين ، فإياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقين ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

وصلاة وسلاماً على سيد من آمن بك ، وأكرم إنسان دعا إليك ، وأعظم هادٍ وقف على صراطك المستقيم ، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وأحبابه ، كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حقٌ للسائل والمحروم ، فرضى الله تعالى عنهم وعمن تبعهم بالهدى إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن مما أطلعنا عليه الباحث الشاب العالم الفاضل الدكتور / عماد ، هذا البحث الإيماني المشرق ، وكان مجللاً بالتوفيق الذي هو نعمة الله العظمى التي يحظى بها من عباده العلماء المخلصون الصادقون ، ثم طالعنا في باقة إيمانية مضيئة من بيان وافٍ لبعض الأحكام الفقهية الهامة في مسائل هامة تتعلق بصلاة هي خير من الدنيا وما فيها ، إنها صلاة الفجر ، وكان أوضح ما وقفنا عنده ذلك الأسلوب الجديد والمتميز في عرض

المسائل الفقهية بروح الداعية المخلص ، يقدم الحكم ويبرز الحكمة ويعرض من خلالها الموعدة الأخاذة بالقلوب ، مع الحث على العمل بها ، والتخلق بأخلاق المؤمنين الصادقين .

وسواء أكانت صلاة الفجر هي الصلاة الوسطى أم غيرها فقد أبان الباحث أنها عمل الأيقاظ من أصحاب الهمم ، تهيب بالنيام أن ينفضوا الغطاء ، ويقوموا لمباشرة حركة الحياة بعزيمة ، فلا تعمل إلا فلاحاً ولا تلقى في حياتها إلا نجاحاً .

وسواء كان الأذان شعاراً أم شعيرة فقد أفادنا أنه صيحة النابهين الداعين إلى أشرف الأعمال التي ترضي الساعين إلى بيوت الله تعالى ، محبي العمل في سبيل مرضاة محبوبهم الرحمن الرحيم .

فهذا السُّفر الجميل بدر فعلاً أشرق في سماء المعرفة الإسلامية فأذن بطلوع فجر جميل ، يعيشه الناس مع أحكام شريعتهم ندية بالموعدة الحسنة ، غير جافة بالتعريفات اللغوية محدود بالتعبيرات الضيقة ، بل إنها مباشرة للحياة وفق قانون الله في خشوع المحبين لعبادة رب العالمين ، ويقين الخاشع الذي يعبد الله كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإنه يراه .

جزى الله المؤلف خيراً وزاده توفيقاً ، والحمد لله رب العالمين

الأستاذ الشيخ / علي محمود أبو الحسن

أمين عام الدعوة ورئيس لجنة الفتوى

بالأزهر الشريف

المقدمة :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، فإنه من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضل فلن تجد له ولياً مُرشداً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢) ﴿ [آل عمران : ١٠٢] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١) ﴿ [النساء : ١] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٧١) ﴿ [الأحزاب : ٧٠ ، ١٧] .

أما بعد :

فإن الصلاة على وقتها هي خير العمل كما أخبر الصادق المعصوم ﷺ ، وهي الأساس الذي إذا صلح واستقام صلح سائر عمل العبد ، وإذا فسدت فسدت سائر عمل العبد ، ونسأل الله أن يصلح بصلواتنا سائر أعمالنا .

ومن بين الصلوات كانت صلاة الفجر التي هي رأس اليوم ، أهم الصلوات التي ينبغي المحافظة عليها ، ذلك لأنه لا يستطيعها كل إنسان ، بل تتعذر على أهل النفاق .

وأرجوك ألا تعاجلني بثورة الغضب عندما تسمع كلمة النفاق اصطدمت برأسك ونالت منك ، فإن الذي حكم بهذا هو حبيبك ﷺ حيث قال : « أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر » (١) .

ولقد كانت صلاة الفجر في جماعة معيار صدق المسلم وإيمانه ، ففي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « كنا إذا افتقدنا الرجل في الفجر والعشاء أسأنا به الظن » (٢) .

وذلك لأن الصلوات الأخرى غير الفجر والعشاء قد يستطيعها المرء لمناسبتها ظروف العمل ووقت الاستيقاظ ، في حين لا يستطيع المحافظة على الفجر والعشاء مع الجماعة إلا المؤمن الذي يرجى له الخير .

وقد هالني ما أرى في المساجد في صلاة الفجر من عجب ، ذلك أنك تدخل أكثر المساجد فتجد صفاً أو نصف صف أو أقل من ذلك ، ولو تفقدتهم لوجدت أكثرهم ممن انحنى ظهره ، ووهن عظمه ، وابيض شعره ، وقل أن تجد بينهم شاباً !!! .

فأين الشباب في صلاة الفجر ؟ ! ، وأين بقية من شهدوا أن لا إله إلا الله في هذا الوقت ؟ ، إنهم في النوم يغطون بعد أن قضوا ليلاً ساهراً سامراً مليئاً بمعصية الله ومخالفته .

إن المساجد لتئن من هجران أكثر المصلين لها في صلاة الفجر ، وتشتكي إلى الله ولولا ما كتب الله على الجمادات من عدم الكلام لسمع الناس أنينها وشكايتها إلى ربها عز وجل .

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤٢٤/٢) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٣٣) .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٢٧١/١٢) ، وقال الهيثمي في المجمع : رجال الطبراني موثقون .

إن من الخطأ الفاحش أن يفرق الناس بين فرائض الله سبحانه فيأتون بعضها ويتخلفون عن بعض ، بل إن المسلم مطالب بأن يشهد كل الفرائض وأن يتزاحم جموع المصلين في الفجر كما يتزاحمون في صلاة الجمعة .

إن الكلام عن صلاة الفجر كلام ذو شجون ، وكم تختنق في النفس عبرات عند الكلام عن صلاة الفجر لا يُذهب كمدها إلا العودة إلى مثل قول الله عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة : ٢١٣] ، ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [البقرة : ٢٧٢] ، ﴿ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ (٢٢) ﴾ [الغاشية : ٢١ ، ٢٢] .

وقد يسّر الله - عز وجل - أن أكتب هذه الصفحات فبينت فيها معنى الفجر ، ووقت صلاة الفجر ، وفضل صلاة الفجر ، والخطوات العملية التي يستعان بها للمحافظة على صلاة الفجر ، وأهم الأحكام الفقهية التي تتعلق بصلاة الفجر ، وحال نساء السلف في المحافظة على صلاة الفجر لعل ذلك يغري رجالنا .

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الله تعالى ، وأن يعين به من يريد أن يحافظ على صلاة الفجر وأرجوه بقوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفُ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢٨٦) ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

كتبه الفقير إلى الله

د . عماد علي عبد السميع

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

تعريف الفجر

إن مادة كلمة « الْفَجْر » لها مدلولات كثيرة كلها تفيد الظهور والوضوح ، وثلاثي « الْفَجْر » الفعل « فَجَرَ » وهو يأتي مثلاً :

[١] فَجَّرَ : بمعنى مضى في المعاصي غير مكترث ومنه « الفاجر » أي الذي لا يبالي بالمعصية .

[٢] فَجَّرَ الْقَنَاةَ : يعنى شقها ، وفجر العين يعني حفرها فانبعث الماء منها سائلاً ومنه قول الله تعالى : ﴿ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ .
[البقرة : ٦٠] .

[٣] فجر في يمينه : يعني وضع كذبه فيها ، ومنه قيل : يمين فاجرة .

[٤] انفجر الظلام : إذا ظهر نور الصباح وانكشفت ظلمة الليل .

وقد يأتي « فَجَّرَ » مضعفاً ، فيقال : « فَجَّرَ - وَتَفَجَّرَ » مبالغة في الانبثاق والظهور والوضوح ^(١) .

وعليه فالفجر هو :

ضوء الصباح ، وهو حمرة الشمس في سواد الليل ، وهما فجران ، أحدهما : المستطيل وهو الكاذب الذي يسمى ذنب السرحان ^(٢) ، والآخر المستطير وهو الصادق المنتشر في الأفق ، والذي يحرم الأكل

(١) انظر المعجم الوجيز (ص ٦٤٢) مادة « فجر » ط . وزارة التربية والتعليم (١٩٩٩ م) .

(٢) ذنب السرحان هو : ذيل الذئب الأسود ، فإن باطن ذنبه بياض بجانبه سواد مثل الفجر الكاذب .

والشرب على الصائم ولا يكون إلا الصبح الصادق ^(١) .

هذا عن المعنى اللغوي لكلمة « فجر » .

■ أما المعنى الشرعي لها فهو :

الصلاة التي يبدأ المسلم بها يومه والتي يدخل وقتها بطلوع الفجر الثاني .

■ أما عن معنى الفجر في علم الفلك فهو :

الفترة ما بين الظلام التام وشروق الشمس « وتسمى الشفق أيضاً » وهو ما ينشأ عن انعكاس ضوء الشمس من الأجزاء العليا من الغلاف الجوي التي تظل منيرة بعد أن تكون الشمس قد اختفت عن مستوى سطح الأرض ^(٢) .

وقيل هو : ضوء خافت يبدأ من الظهور مواز لخط الأفق ، يميل لونه إلى الحمرة ، بينما يكون كل ما يعلوه من السماء سواداً كالحج ، ولا يزال هذا الضوء الخافت في الانتشار فيزداد عرضاً فوق الأفق كما يزداد انتشاراً على امتداده ، وتضطرد الزيادة إلى أن تشرق الشمس لتضيء الأرض بنور ربها ^(٣) .

وإتماماً للفائدة نعرّف الصبح : ذلك لأن الصبح كصلاة هو المقصود بالحديث لأنه الفريضة ، وهو الذي ذكرت فيه الفضائل ، وإطلاق الفجر

(١) انظر : ابن منظور : لسان العرب (١٠٥٣/٢) ط مصورة عن طبعة بولاق .

(٢) أ . علي الكليب ، تصحيح وقت أذان الفجر - مقال بمجلة الأزهر - عدد شوال (١٤١٧ هـ) ، ص (١٤٤٠) نقلاً عن الموسوعة الأمريكية .

(٣) د . مرفت السيد عوض ، الفجر الصحيح - مقال بمجلة الأزهر - عدد ذي الحجة (١٤١٧ هـ) ، (ص١٧٧٩) بتصرف يسير .

على صلاة الصبح من باب تسمية الشيء بلازمه .

■ والصبح هو : من صَبَحَ ، يَصْبُحُ إِصْبَاحاً وَصَبِيحاً .

ويقال : صَبَحَ الوجه أَشْرَقَ وَجَمُلَ ، والإصباح هو أول النهار ^(١) .

قال تعالى : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ﴾ [الأنعام : ٩٦] .

وسمى الصبح صَبْحاً لجمعه بين البياض والحمرة ، كما يسمى الرجل الذي في لونه بياض وحمرة : صَبِيحٌ أَوْ أَصْبَحُ ^(٢) .

وهكذا ترى أن معاني الفجر والصبح متقاربة في دلالتها .



(١) انظر المعجم الوجيز (ص ٣٥٨) مادة « صَبَحَ » .

(٢) ابن قدامة : المغني (١ / ٣٩٩) ط مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .

وقت صلاة الفجر

الصلاة - عموماً - في الشريعة الإسلامية لها مواقيت تحدد ابتداء دخول كل وقت من أوقات الصلاة ، والأصل في هذا قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ .

[النساء : ١٠٣] .

وجاء في السُّنة المشرفة تفصيل هذه المواقيت ، فلا يكاد يخلو كتاب من كتب السُّنة من كتاب أو باب لمواقيت الصلاة .

ففي صحيح البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب وقت الفجر .
عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت رضي الله عنه تسحراً ، فلما فرغا من سحورهما ، قام نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ، فصلينا ، قلنا لأنس : كم كان بين فراغهما من سحورهما ودخولهما في الصلاة ؟ قال : قدر ما يقرأ الرجل خمسين آية ^(١) .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - :

« استدل المصنف به على أن أول وقت الصبح طلوع الفجر ، لأنه الوقت الذي يحرم فيه الطعام والشراب ، والمدة بين الفراغ من السحور والدخول في الصلاة - وهي قراءة الخمسين آية ونحوها - قدر ثلث أو خمس ساعة ، ولعلها مقدار ما يتوضأ ، فأشعر بذلك أن أول وقت الصبح أول ما يطلع الفجر » ^(٢) .

(١) البخاري برقم (٥٧٦) كتاب مواقيت الصلاة ، باب وقت الفجر (٦٨/١) « الفتح » ط ، دار

الحديث ١٩٩٨ م .

(٢) فتح الباري (٦٨/٢) .

بل زاد النبي ﷺ الأمر توضيحاً لبيان أول وقت الفجر حين قال :
« هما فجران ، فأما الذي كأنه ذنب السرحان فإنه لا يحل شيئاً ولا
يحرمه ، وأما المستطيل الذي عارض الأفق ففيه تحل الصلاة ويحرم
الطعام » (١) .

وفي صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن سائلاً أتى رسول
الله ﷺ يسأله عن مواقيت الصلاة ، فلم يرد شيئاً ، قال : فأمر بلالاً ، فأقام
الفجر حين انشق الفجر ، والناس لا يكاد يعرف بعضهم بعضاً ، ثم أخرج
الفجر في الغد حتى انصرف منها ، والقائل يقول : قد طلعت الشمس
أو كادت ، ثم دعا السائل فقال : الوقت بين هذين (٢) .

وهذا يبين أول وقت الفجر بظهور الغلس « وهو ظلمة آخر الليل
مختلطة ببياض ضوء الصباح » ، وكذلك يبين آخر وقته - أيضاً - وهو
طلوع الشمس ، وهذا الذي بينه الحديث هو الوقت الاختياري الذي قال
فيه النبي ﷺ : « من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد
أدرك الصبح ... » (٣) .

فمن صلى الصبح في هذه الفترة وقعت أداء وليس قضاءً ، ولكن مع
الفرق الذي يكون بين من أدى منفرداً ، ومن أدى في جماعة .

وبالطبع هذا من فضل الله ورحمته بأمة الصلاة ، ولكن لم يكن حال
السلف كحالنا في الاستهانة بمواقيت الصلاة وعدم اكتراثنا بها ، لذلك

(١) رواه الدارقطني برقم (١٠٦٣) كتاب الصلاة .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي .

(٣) البخاري (فتح برقم ٥٧٩) كتاب الصلاة ، باب من أدرك من الفجر ركعة (٧٠ / ٢) .

يعقب الحافظ ابن حجر على الحديث آنف الذكر « من أدرك من الصبح ركعة ... » بقوله : « ونقل بعضهم الاتفاق على أنه لا يجوز لمن ليس له عذر تأخير الصلاة حتى لا يبقى منها إلا هذا القدر » (١) .

وهذا يعني أن الصلاة في أول الوقت أفضل من الصلاة في آخره ، أما الوقت الضروري لصلاة الفجر فإنه يبدأ من طلوع الشمس ويمتد حتى صلاة الظهر ، والله أعلم .

هذا وقد لخص ابن قدامة - رحمه الله - وقت الصبح فقال :

« إذا طلع الفجر الثاني وجبت صلاة الصبح ، والوقت مبقي إلى أن تطلع الشمس ، وجملته أن وقت الصبح يدخل بطلوع الفجر الثاني إجماعاً ، وقد دلت عليه أخبار المواقيت ، وهو البياض المستطير المنتشر في الأفق ويسمى الفجر الصادق ، لأنه صدقك عن الصبح وبينه لك » (٢) .

ومن تيسير الله على العباد الآن ، أنهم لم يعودوا يتحرون مواقيت الصلاة بالعين المجردة بالنظر في نجوم السماء وشفقها ، بل يسرّ لهم المراقص الفلكية فيعينون الوقت ويضبطونه بكل دقة ، وفي دراسة بشأن تحديد موعد صلاة الفجر أعدتها الدكتورة / مرفت السيد عوض - أستاذة الفلك وعلوم الفضاء بكلية العلوم جامعة القاهرة - جاء فيها :

« إن الظروف الجوية وقت غروب الشمس تعجل بعضاً بصلاة العشاء فتحل حين يصل انخفاض الشمس تحت الأفق [١٧,٥ °] ، أما الفجر فتسكن الحياة وتتغير الظروف الجوية ، فمثلاً يتكشف قدر كبير من بخار

(١) فتح الباري (١/٧١) .

(٢) ابن قدامة : « المغني » (١/٢٩٩) .

الماء قرب سطح الأرض ، يؤدي هذا إلى ازدياد قدرة الهواء على تشتيت ضوء الشمس مما يعجل بظهور الشفق ، لذلك يحين الفجر : والشمس تحت الأفق على انخفاض قدره [١٩,٥] ، وهاتان الزاويتان لم تقدرا جزأاً ، وإنما بعد دراسات وقياسات دقيقة ، وقد جرت مراجعات عديدة لهذه القيم - وهي وإن اختلفت بقدر ضليل تبعاً للظروف الجوية - إلا أننا لا يمكن أن نحدد زاوية لكل يوم من السنة ، فهاتان القيمتان [١٧,٥] للعشاء و [١٩,٥] للفجر تمثلان الواقع لصورة كاملة بما يرضي الله ويبعد عنا إثم مخالفة شرعه سبحانه » (١) .

وهذه التقديرات الفلكية تحال إلى توقّيات بالدقائق والثوان في إحصائيات تصدر عن الجهة المختصة .

ولا يروّعنك ما قد تسمع أو تقرأ من تقديرات غير المختصين الجزافية التي تطرح بين آن وآخر « كتصحيح وقت أذان الفجر » أو « الأزهر يعتمد في تحديد مواقيت الصلاة على المراصد الأمريكية » وغير ذلك .

حكم من صلى قبل الوقت :

قال ابن قدامة - رحمه الله تعالى -

« ومن صلى قبل الوقت لم تجز صلاته في قول أكثر أهل العلم ، سواء فعل عمداً أو خطأ ، كل الصلاة أو بعضها ، وبه قال الزهري والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي وروى عن ابن عمر وأبي موسى رضي الله عنهما أنهما أعادا الفجر لأنهما صليا قبل الوقت » (١) .

(١) مجلة الأزهر (عدد ذي الحجة ١٤١٧ هـ ، ص ١٧٨١) .

(٢) المغني ، لابن قدامة (١ / ٤١١) .

وقال ابن حزم - رحمه الله - :

« سئل الحسن البصري عن الرجل يؤذن قبل الفجر ليوظ الناس ؟ ، فغضب وقال : علوج فراغ ، لو أدركهم عمر بن الخطاب لأوجع جنوبهم . وفي رواية : أنه سمع مؤذناً أذن بلبيل فقال : علوج تبارك الديوك ، وهل كان الأذان على عهد رسول الله ﷺ إلا بعد ما يطلع الفجر ، وعن إبراهيم النخعي أنه كان يكره أن يؤذن قبل الفجر ، وعنه أيضاً قال : سمع علقمة بن قيس مؤذناً بلبيل ، فقال : قد خالف هذا سنة من سنّه أصحاب رسول الله ﷺ ، ولو نام على فراشه لكان خيراً له .

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : « ما كانوا يؤذنون حتى يصبحوا » ، وعن نافع قال : « ما كانوا يؤذنون حتى يطلع الفجر » (١) . ثم قال ابن حزم - أيضاً - : هذه أقوال أئمة أهل المدينة ، وهم أولى بالاتباع من غيرهم ممن جاء بعدهم ، فوجد عملاً لا يدرى أصله (٢) . وإنما نقلت أقوال العلماء هنا لأنه وارد في صلاة الفجر أن يقوم المرء من دهشة النوم فيصلّي قبل الوقت ظناً منه بأن الناس قد صلوا وفرغوا .



(١) ابن حزم : المحلى بالآثار (١١٨/٣) ؛ ط دار الكتب العلمية ، بيروت (١٩٨٨ م) .

(٢) المرجع السابق ، نفس الموضع .

فضل صلاة الفجر



إن فضل صلاة الفجر لا يمكن أن يصوره قلم ، ولا أن تحمله ألفاظ ،
 مهما كانت فصاحة صاحبها ، إلا أن يكون كلام رب العالمين ، وهو يقسم
 بها موجهاً خطابه وقسمه لأولى الألباب ، قال تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ ١ ﴾
 وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ٤ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي
 حِجْرِ ٥ ﴾ [الفجر : ١ - ٥] .

فأنت ترى كيف صدر الله تعالى القسم بالفجر ، ولما لم يكن كل
 الناس على درجة واحدة من الفهم وتقدير عظمة المقسم به ، خصه
 بأصحاب العقول حيث قال تعالى : ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ٥ ﴾ .

قال ابن كثير - رحمه الله - :

« ﴿ لِّذِي حِجْرِ ﴾ أي : لذي عقل ولب ودين ، وإنما سمي العقل
 حجراً لأنه يمنع صاحبه من تعاطي ما لا يليق من الأفعال والأقوال » (١) .

نعم فمن لمن يمنعه عقله من تضییع صلاة الفجر لم يكن من ذوي
 العقول كما أخبر الله تعالى .

تالله إن سياق الآيات - لمن تدبره - غاية في الإغراء بصلاة الفجر
 والترغيب فيها ، كيف لا وأنت تألف فيها كل معاني الروحانية التي
 تلطف القلب وتذهب بجفائه .

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٢٢٤ / ٨) ط ، مكتبة الإيمان ، المنصورة الطبعة الاولى ١٩٩٦ م .

قال صاحب الظلال - رحمه الله - وقد ذكر الآيات :

« إنها ليست عبارات وألفاظ وإنما هي أنسام من أنسام الفجر ، وأنداء مشعشة بالعطر ، إنه النجاء الأليف للقلب ، والهمس اللطيف للروح ، واللمس الموحى للضمير ، إنه جو الفجر ، الجو المأنوس الحبيب ، حيث تلتقي روح العبادة الخاشعة بروح الوجود الساجية ، وحيث تتجاوب الأرواح العابدة مع أرواح الليالي المختارة وروح الفجر الوضيئة ... الفجر الذي هو ساعة تنفس الحياة في يسر وفرح وابتسام وإيناس وود وندى ، والوجود الغافي يستيقظ رويداً رويداً ، وكأن أنفاسه مناجاة ، وكأن تفتحه ابتهاج » (١) .

وانظر أخي المسلم إلى مشهد آخر غاية في الروعة ، جاء فيه الأمر صريحاً بإقامة الصلوات ولكن خص الفجر منها ، قال تعالى : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾ (٧٨) [الإسراء : ٧٨] .

و ﴿ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ : مغيبها ، وغسق الليل ظلّمته ، وقرآن الفجر : يعني صلاة الفجر (٢) .

فهذا أمر من الباري سبحانه بإقامة الصلوات ولكنه خص صلاة الفجر بمزيد مدح وهو أنها مشهودة تشهدها ملائكة الرحمن سبحانه وتعالى .

وانظر كيف رتب الله تعالى على إتيان هذه الطاعات رفع الدرجات

(١) ١ . سيد قطب في ظلال القرآن (٦ / ٣٩٠٢) وما بعدها ، ط دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة العاشرة . ١٩٨٢ م .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٥ / ٦٤) بتصرف .

وإِعلاء المنازل والمقامات فقال سبحانه : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مُمُحَّدًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] .

والمقام المحمود للنبي ﷺ هو الشفاعة ، ولكن هذا لا يمنع - إذا وُجّه الخطاب للأمة من وراء النبي ﷺ - أن يرفع الله تعالى من يأتي هذه الأوامر ويحافظ على صلاة الفجر ويُعطي درجته في الصديقين ، ويجعله مع الذين أنعم الله عليهم .

قال صاحب الظلال - رحمه الله - في هذا المشهد :

« أقم الصلاة ما بين ميل الشمس للغروب ، وإقبال الليل وظلامه ، واقرأ قرآن الفجر ، إن قرآن الفجر كان مشهوداً ، ولهذين الآيتين خاصيتهما ، وهما إدبار النهار وإقبال الليل ، وإدبار الليل وإقبال النهار ، ولهما وقعهما في النفس ، فإن مقدم الليل وزحف الظلام ، كمطلع النور وانكشاف الظلمة ، كلاهما يخشع فيه القلب ، وكلاهما مجال للتأمل والتفكير في نواميس الكون التي لا تفتقر لحظة ، ولا تختل مرة ، وللقرآن كما للصلاة إيقاعه في الحسن ، في مطلع الفجر ونداوته ونسماته الرخية ، وهدوئه السارب ، وتفتحته بالنور ونبضه بالحركة وتنفسه بالحياة ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مُمُحَّدًا ﴾ بهذه الصلاة وبهذا القرآن والتهجد به ، وبهذه الصلة الدائمة بالله ، فهذا هو الطريق المؤدي إلى المقام المحمود ، وإذا كان الرسول ﷺ يؤمر بالصلاة والتهجد بالقرآن ليعبثه ربه المقام المحمود المأذون له به وهو المصطفى المختار ﷺ ، فما أحوج الآخرين إلى هذه الوسائل لينالوا المقام المأذون لهم به في درجاتهم ، فهذا هو الطريق وهذا هو زاد الطريق » (١) .

ولما كان الطريق صعباً محفوفاً بالمخاطر والمضايقات جعل الله تعالى في صلاة الفجر سلوى ومتنفساً لعبده المؤمن ، فقال لحبيبه ﷺ : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه : ١٣٠] ، يعني : صلاة الفجر وصلاة العصر (١) .

وكان الله تعالى يقول للنبي ﷺ : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾ من كفر وجحود واستهزاء وإعراض ولا يضيق صدرك بهم ، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ، واتجه إلى ربك ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ في هداة الصبح وهو يتنفس ويتفتح بالحياة ، وفي هداة الغروب والشمس تودع والكون يغمض أجفانه ، وسبح بحمده فترات من الليل والنهار ، كن دائماً موصولاً بالله على مدار اليوم (٢) .

ومن أحسن الصلة بالله وأجاد التسبيح في هذه الأوقات المشار إليها ﴿ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ ينعم بالرضى ، قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ .

« فالرضى ثمرة التسبيح والعبادة ، وهو وحده جزاء حاضر ينبت من داخل النفس ويترععرع في حنايا القلب ، اتجه إلى ربك بالعبادة ، ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ﴾ ، وما هي بدعوة للزهد في طيبات الحياة ، ولكنها دعوة إلى الاعتزاز بالقيم الأصيلة الباقية ، وبالصلة بالله وبالرضى به ، فلا تتهاوى النفوس أمام زينة الثراء ، ولا تفقد اعتزازها بالقيم العليا ، وتبقى دائماً تحس حرية الاستعلاء على الزخارف الباطلة

(١) تفسير ابن كثير (١٩٩/٥) .

(٢) في ظلال القرآن (٢٣٥٦/٤) وما بعدها بتصرف .

التي تبهر الأنظار » (١) .

هذه - أخي المسلم - بعض المشاهد القرآنية التي تصور روعة صلاة الفجر والتسبيح في وقتها ، فلعل الله أن يفتح بها مغاليق قلبك ، وأن يرزقك حبها ، وأن يجعلها ختام عملك ، ونحن معك والمسلمين .

والآن أخي المسلم أعرض عليك بعض فضائل صلاة الفجر من خلال السُّنة النبوية المشرفة ، من باب التفاؤل بفعل الطاعات ، فكما أن للمعاصي شؤم ، فإن للطاعات فال ، فأقول وبالله التوفيق .

أولاً : صلاة الفجر سبب في سعة الرزق :

ما من عبد مهما بلغ زهده في الدنيا وإعراضه عنها إلا وهو يحب سعة الرزق ، على الأقل حد الكفاف الذي يحفظ ماء الوجه ويقي شر مذلة السؤال ، وهذا والله سبيله طاعة الله تعالى .

وذات يوم صلى النبي ﷺ صلاة الصبح ، ثم عاد فوجد فاطمة ابنته نائمة فقلبها بقدمه ، ثم قال لها : « يا فاطمة قومي فاشهدي رزق ربك ، فإن الله - عز وجل - يوزع أرزاق العباد ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس » (٢) .

وهذا لا يعني - كما يظن طلاب الدنيا وعبداء الدنانير - أن من ذهب إلى صلاة الفجر لا بد أن يعود ممتلئ الجيب بالدراهم والدنانير !! ، وأن الرزق بعد طلوع الشمس ينقطع ، كما يقول الساخرون ! .

(١) في ظلال القرآن (٢٣٥٧/٤) بتصرف يسير .

(٢) حديث رواه المنذري في الترغيب والترهيب برقم (٢٤٧٤) كتاب البيوع ، باب الترغيب في البكور في طلب الرزق وغيره (١٥٠/٣) وعزاه للبيهقي .

لا ، وإنما يعني أن طاعة الله تعالى في المحافظة على شهود صلاة الفجر في جماعة بها يستدر التوفيق من الله - تعالى - فينال العبد الرضى والسداد من ربه ، فيمضي بقية يومه في عون من الله وتيسير لأمره .

نعم ، إن طاعة الله تعالى كفيلة بأن تملأ الجيوب دنانير ودراهم ، كيف لا وهو الذي يقول - جل شأنه - : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٣ ، ٤] ، ولكن أعيدك بالله يا صديق الفجر ورفيق الخير أن تصلي الفجر وأنت تنتظر المقابل في الدنيا ولا مارب لك في الآخرة ، أو أن تكون ممن ﴿ يَعْبدُ اللَّهُ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [الحج : ١١] .

وما أكثر ما يسيء الناس الآن الأدب على الخالق - جل وعلا - برغم تقصيرهم ، فإن الرجل قد يذهب لقضاء حاجة ما من حوائجه فتعطل - لحكمة - فإذا به يسب اليوم ويسب الصبح ويسوده « هذا يوم أسود » .

وربنا تعالى يخبرنا أن الرزق يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فيقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) ﴾ [الأعراف : ٩٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦) ﴾ [المائدة : ٦٦] .

والصادق الأمين ﷺ يخبرنا أن الله أوحى إليه أنه لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها ، ثم يأمرنا بقوله : « فاتقوا الله وأجملوا في الطلب فإن

استبطاً أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله فإن الله لا ينال فضله بمعصية» ^(١) .

أما طلاب الآخرة فلهم مع الرزق الذي بين صلاة الفجر وطلوع الشمس حساب آخر ، فهم يرون مجرد التوفيق لصلاة الفجر من أعظم الرزق ، فإذا ما وفق العبد للذكر من بعد صلاة الفجر حتى تشرق الشمس كان قد أحسن الله له رزقاً .

لطيفة :

ما أكثر ما يتحدث الناس الآن عن الإنتاج وعن التخطيط لدفع عجلته إلى الأمام ، ولو أنك قلت للمسلمين إن شهود صلاة الفجر في جماعة من كل العاملين يمكن أن يكون له أثره الطيب في مضاعفة الإنتاج وزيادته ، لسخروا بك ولكالوا لك عبارات السخرية كيلاً .

وقد يشير الكثيرون إلى أن إحسان استغلال الوقت في العمل عامل مهم جداً لزيادة الإنتاج ووفرة العيش ، وهذا جيد ، حتى أنك ترى أوروبا الملحدة ومن شايعها لما رأت يوم الشتاء غير كافي لأداء العمل عمدت إلى الساعة « آلة ضبط الوقت » فتارة تقدمها ساعة وتارة تؤخرها ساعة ظناً منهم أن ذلك زيادة في اليوم وأول من فعل ذلك هو الرئيس الأسبق بنيامين فرانكلين .

أما أنت أخي المسلم فإن يومك لا تحتاج إلى ساعة تقدّم أو تؤخّر ، فإن يومك بدايته من طلوع الفجر مرتبطة بأجل الفرائض ، والله لقد جربنا

(١) رواه الحاكم في المستدرک : کتاب البیوع ، باب لم یکن عبد لیموت حتی یبلغ آخر رزق هو له (٤/٢) ، وقال : صحیح علی شرط الشیخین ، ووافقه الذہبی .

العمل من بعد صلاة الفجر في كل مجال سواء في الزراعة أو الصناعة أو القراءة ، فوجدنا بركة عظيمة في العمل المؤدى في تلك الفترة .

ثانياً : صلاة الفجر تحفظ المسلم :

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده أن رسول الله ﷺ قال : « من صلى الصبح فهو في ذمة الله ، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء ، فإن من يطلبه الله من ذمته بشيء يدركه ثم يكبه على وجهه في نار جهنم » (١) .

ومعنى في ذمة الله ، أي : في حفظه وكلاءه ورعايته ، وما يدريك ما حفظ الله ورعايته ؟ .

إنها الرحمة كلها ، التي إذا غشيت حولت الآلام آمالاً ، إنها اللطف كله الذي إذا تنزل جعل النار برداً وسلاماً ، إنها الحكمة والعزة والإرادة التي لا تغلب ، وإذا قضت جعلت العدو صديقاً ، والأسد في ضراوته قطعاً أليفاً .

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٤٠) .

[النحل : ٤٠] .

وصدق القائل

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فاخفاف كلهن أمان

■ فيا أيها الشاب الذي تخاف على نفسك فتنة النساء : ابدأ يومك بصلاة الفجر تكن في ذمة الله .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي برقم (٤٥٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها (٢٩٣/٥) .

■ ويا أيها الأخ الذي تخرج من بيتك وقلبك يرجف من ملاقة الظالم ، ابدأ يومك بصلاة الفجر تكن في ذمة الله وجواره .

■ ويا أيها الأخ الذي تخرج من بيتك للسفر تخشى مخاطره وترجف من وحشة غربته ابدأ يومك بصلاة الفجر تكن في ذمة الله وأنسه .

■ ويا أيها الأخ الذي يخاف على أولاده من النار ، صلّ الفجر وأمر بها أهلك واصطبر عليها تكن أنت وأولادك في ذمة الله .

ثالثاً : صلاة الفجر تعدل قيام الليل كله :

ما أعظم فضل الله على هذه الأمة ، فرض عليها قيام الليل أول الأمر بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزْمِلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) ﴾ .

[المزمل : ١ ، ٢] .

ثم نسخ هذا الأمر تخفيفاً بقوله تعالى : ﴿ عَلِمَ أَن لَّنْ تُحْصِرَهُ فِتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرِّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ .

[المزمل : ٢٠] .

ويا سبحان الله بعد نسخ وجوب قيام الليل أبقى الله تعالى لنا من فضله أن من أراد أن يحسب له أجر قيام نصف ليلة فليشهد العشاء في جماعة ، ومن أراد أن يحظى بمثل أجر قيام ليلة كاملة فليشهد الفجر في جماعة .

قال الصادق المعصوم عليه السلام : « من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ،

ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة ^(١) .

فاحرص أخي المسلم ولا تضيع هذه الفرص الذهبية ، ولذلك كرّه أهل العلم الإفراط في السهر بالليل حتى ولو كان في قراءة قرآن أو قيام ليل ، إذا كان يترتب على ذلك ضياع صلاة الصبح .

ورحم الله عمر رضي الله عنه كان يقول : لأن أصلي الصبح في جماعة أحب إليّ من أن أقوم الليل كله ^(٢) .

ومع ذلك أخي المسلم كان السلف الكرام يشهدون العشاء والفجر في جماعة ، ولهم مع قيام الليل همٌّ لا تفترو .

فهذه جارية كانت للحسن بن صالح باعها من قوم ، فلما كان جوف الليل قامت الجارية فقالت : يا أهل الدار الصلاة الصلاة ! ، فقالوا : أصبحنا ، أطلع الفجر ؟ ، فقالت : وما تصلون إلا المكتوبة ؟ ، قالوا : نعم ، فرجعت إلى الحسن فقالت : يا مولاي بعثني من قوم لا يصلون إلا المكتوبة ، ردني ، فردها ^(٣) .

وكان طاووس - رحمه الله - إذا اضطجع على فراشه يتقلّى كما تتقلّى الحبة على المقلاة ثم يثب ويصلي إلى الصباح ، ثم يقول : طيرٌ ذكر جهنم نوم العابدين ^(٤) .

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها وأنها فرض كفاية .

(٢) موطأ مالك : كتاب صلاة الجماعة ، باب ما جاء في صلاة العتمة والصبح (١٢٦/١) .

(٣) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، (٥١٩/١) ، ط مكتبة الإيمان ، المنصورة ، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م .

(٤) المرجع السابق (٥١٩/١) .

وكان عبد العزيز بن وراد إذا جنّ عليه الليل يأتي فراشه فيمريده عليه ويقول : إنك للين ، والله إن في الجنة لألين منك ، ولا يزال يصلي الليل كله .

وقال الفضيل : إني لأستقبل الليل من أوله فيهلوني طوله فأفتح القرآن فأصبح وما قضيت نهمتي .

وشبع سفيان الثوري ذات ليلة فقال إن الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله ، فقام تلك الليلة حتى أصبح ^(١) .

وقال المغيرة بن حبيب : رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول : اللهم حرم شعبة مالك على النار ، إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار ، فأَي الرجلين مالك ؟ وأي الدارين دار مالك ؟ ، فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر .

وقال مالك سهوت ليلة عن وردي ونمت ، فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة ، فقالت لي : أتحسن تقرأ ؟ ، فقلت : نعم ، فدفعت إلي الرقعة فإذا فيها :

أألهتك اللذائذ والأمانى
عن البيض الأوانس في الجنان
تعيش مُخلداً لا موت فيها
وتلهو في الجنان مع الحسان
تنبه من منامك إن خيراً
من النوم التهجد بالقرآن ^(٢)

أرأيت الهمم يا من تصلي الفجر بعد طلوع الشمس وترى نفسك من

(١) إحياء علوم الدين (١ / ٥١٩) .

(٢) المرجع السابق (١ / ٥٢٠) .

العُباد ، وتقول : أنا أفضل من غيري بكثير ، أنا أفضل ممن لا يصلي !! .
أما تستحي من تقصيرك ؟ ، أما تخجل عن إعجابك بنفسك ؟ ، أما
تأسف لما تُضَيِّع ؟ أما تأسي لكثرة علفك مع قلة عملك ؟ .

رابعاً : صلاة الفجر كمقياس للإيمان :

ما أيسر على المؤمن أن يتخذ من صلاة الفجر مقياساً للإيمان ، ليعرف
صدق نفسه من كذبها ، وإخلاصها من رياءها .

يقول النبي ﷺ : « بيننا وبين المنافقين شهود العشاء والصبح لا
يستطيعونهما »^(١) ، وفي رواية : « أثقل الصلاة على المنافقين صلاة
العشاء وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً »^(٢) .

وعن عبد الله بن مسعود رضِيَ اللهُ عنه قال : « كنا نشهد صلاة الصبح مع
النبي ﷺ في جماعة ، وما يتخلف عنها إلا منافقاً بين النفاق »^(٣) .

وعن ابن عمر رضِيَ اللهُ عنه قال : « كنا إذا افتقدنا الرجل في الفجر والعشاء
أسأنا به الظن »^(٤) .

وإنما تكون إساءة الظن بذلك المتخلف عن هاتين الصلاتين لأن المحافظة
عليهما معيار صدق الرجل وإيمانه ، ومعيار يقاس به إخلاصه ، ذلك لأن

(١) موطأ الإمام مالك : كتاب صلاة الجماعة ، باب ما جاء في العتمة والصبح (١ / ٢٢٦) ، قال ابن
عبد البر في التمهيد : هذا حديث مرسل ومعناه محفوظ من وجوه ثابتة .

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤٢٤ / ٢٥) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٣٣) .

(٣) هو جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه : كتاب المساجد ، باب فضل صلاة الجماعة وبيان
التشديد في التخلف عنها .

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٧١ / ١٢) ، وقال الهيثمي رجاله موثقون ، انظر المجموع
(٤٠ / ٢) .

سواهما من الصلوات قد يستطيعها المرء لمناسبتها لظروف العمل ووقت الاستيقاظ ، في حين لا يستطيع المحافظة على الفجر والعشاء مع الجماعة إلا الحازم الصادق الذي يرجي له الخير ^(١) .

هذا ولا بد أن تعلم أن سلفنا الصالح - رحمهم الله - ، كان مقياس إيمانهم لا يقف عند حد صلاة الفجر ، بل إلى ما هو أدق ، فقد يصلي الرجل منهم المكتوبات في جماعة وله قيام ليل ويشهد مجالس العلم مع رسول الله ﷺ فإذا عاد إلى بيته فقبل زوجته مثلاً وأحب أولاده - وهذا لا حرج فيه - يشعر بأنه نافق ، وهذا ما دفع الصحابي الجليل حنظلة رضيه الله عنهما ذات يوم أن يأتي إلى رسول الله ﷺ ذات يوم وهو يقول : « نافق حنظلة يا رسول الله ، فيسأله النبي ﷺ » وما نافق حنظلة ؟ » ، قال : نكون عندك يا رسول الله فتحن قلوبنا ويزداد إيماننا فإذا انصرفنا من عندك أحببنا أولادنا وعافسنا نساءنا ، فقال له النبي ﷺ : « أما إنكم لو تظلمون على حالتكم التي تكونون عليها عندي لصافحتكم الملائكة عياناً ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة » ^(٢) .

أرأيت أخي كيف كان مقياسهم لإيمانهم ، وحالهم من اتهامهم لأنفسهم بالتقصير ، برغم أن التزامهم وإيمانهم لا يدركه جيل من الأجيال ولو بذل مثل أحد ذهباً .

أما نحن اليوم ، فما بال الذين لا يصلون الفجر تشور ثائرتهم لمجرد سماع أنهم منافقون مردوا على النفاق ؟ ، وما سميناهم بذلك ، وإنما

(١) محمد صالح المنجد ، شكاوى وحلول ، من موقعه على الانترنت .

(٢) هو معنى حديث طويل في صحيح مسلم ، كتاب الرقاق ، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الاوقات والاشتغال بالدنيا (١٧ / ٢٢٦) .

سماهم الذي لا ينطق عن الهوى ، ﷺ .

نصيحة ورجاء :

إذا رأيت نفسك تنشط في الجماعات وتتكاسل في الخلوات فاعلم أن بينك وبين الإخلاص بؤناً ، فاسع في علاجها

خامساً : صلاة الفجر منجاة من النار :

أخرج مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده ، أن رسول الله ﷺ قال : « لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها » ^(١) .

فهذا تقرير نبوي شريف أن المحافظ على صلاة الفجر والعصر لن يلج النار بإذن الله تعالى .

وفي الحديث إشكال في جزئية « لن يلج النار » وذلك لما ورد في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ (٧١) [مريم : ٧١] ، وقد أزال الحافظ ابن حجر هذا الإشكال في شرحه لحديث « لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم » ^(٢) ، فأورد أقوالاً كثيرة في معنى ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ واختار منها قولان :

أحدهما : رواه الطبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : المراد بالورود الممر عليها .

ثانيهما : أثر من طريق كعب الأحبار عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « يستون كلهم على متنها ثم ينادي مناد أمسكي أصحابك ودعي

(١) مسلم بشرح النووي : كتاب المساجد ، باب فضل الصبح والعصر والمحافظة عليهما ، ورواه أحمد في المسند (١٣٦/٤) .

(٢) البخاري برقم (١٢٥١) ، كتاب الجنائز ، باب فضل من مات له ولد فاحتسب (١٥٣/٣) فتح .

أصحابي فيخرج المؤمنون ندية أبدانهم » ... ثم قال الحافظ : وهذا القولان أصح ما ورد في ذلك ولا تنافي بينهما ، ويؤيد صحة هذا التأويل ما رواه مسلم في صحيحه من حديث مبشر : أن حفصة رضي الله عنها قالت للنبي ﷺ لما قال : « لا يدخل أحد شهد الحديبية النار : أليس الله يقول ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ فقال لها : « أليس الله تعالى يقول : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ﴾ (٧٢) » (١) .

فأبشر أخي الحافظ على صلاة الفجر - بعد إزالة هذا الإشكال - وأيقن بأن ولو جك أو وروذك النار لن يكون ، بإذن الله إلا تحلة للقسم كما قال المعصوم عليه السلام .

وأيقن بحسن - ظني في الله - أنك ممن قال الله فيهم : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ ، وأنك لست ممن قال الله فيهم : ﴿ وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ﴾ (٧٢) ﴿ مريم : ٧٢] .

■ أيا من تخاف النار ، اعمل للنار بقدر صبرك عليها .

■ أيا من تخاف من النار ، اهرب منها إلى الله يؤويك إلى جنته .

أبشريا من تصلي الفجر ولا تترك ، فوالله إن سلفنا الصالح - رحمهم الله - كانوا يعرفون هذه البشريات جيداً ، ويحسنون فهمها وإزالة ما قد يبدو من تعارض أو إشكال ، ولكن كانوا يخوفون أنفسهم من النار فيفهمونها أنهم على النار واردون ولا يدرون متى عنها ينصرفون .

أخرج عبد الرزاق بسنده عن قيس بن حازم قال : كان عبد الله بن

رواحة ﷺ واضعاً رأسه في حجر امرأته فبكى ، فبكت امرأته ، فقال : ما يبكيك ؟ ، قالت : رأيته تبكي فبكيت ، قال : إني ذكرت قول الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ (٧١) ، فلا أدري أنجو منها أم لا (١) ، وعبد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة !! .

وأخرج ابن جرير بسنده أن أبا ميسرة كان إذا أوى إلى فراشه قال : يا ليت أُمي لم تلدني ، ثم يبكي ، فقيل له : ما يبكيك يا أبا ميسرة فقال : أخبرنا أنا واردوها ولم نخبر أنا صادرون عنها (٢) .

وقال عبد الله بن المبارك عن الحسن البصري قال : قال رجل لأخيه : هل أتاكَ أنك وارد النار ؟ ، قال : نعم ، قال : هل أتاكَ أنك صادر عنها ؟ ، قال : لا ، قال : ففيم الضحك ؟ ، قال : فما رُئى بعدها ضاحكاً حتى لحق بالله (٣) .

فيا أخي قم صل الفجر وكن على حذر من النار
ولا تركن إلى الدنيا فإنك ستُرد مهما طال الليل والنهار
قم صل الفجر واسأل الله وقل يا ودود برحمتك أجزني من النار
وامن علي بالرضى وأدخلني جنات تجري من تحتها الأنهار

سادساً : صلاة الفجر تدخلك الجنة :

أخرج البخاري في صحيحه بسنده أن رسول الله ﷺ قال : « من صلى البردين دخل الجنة » (٤) .

(١) ، (٢) ، (٣) انظر : هذه الآثار الثلاثة في تفسير ابن كثير (١٥٥/٥) .

(٤) البخاري برقم (٥٧٤) كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة الفجر (٦٦/٢) ، الفتح ، .

والبردآن هما : صلاة الفجر وصلاة العصر ، سميتا بذلك لأنهما
تصليان في بردى النهار ، وهما طرفاه ، حين يطيب وتذهب سورة الحر^(١) .
أترى يا أخي بعد هذا الوعد الإلهي ، أنك تصلي الفجر ولا تدخل
الجنة ؟ ، أقول لك : جَلَّ من لا يخلف الميعاد .

أما تشمر عن ساعد الجد وتعقد العزم على دخول الجنة ؟ ، كيف لا
تثق أنت بوعد ربك ؟ ، والنصارى يثقون في وعود آباء ورهبان يبيعون
لهم الجنة بالقراريط ، وما ملكوا لأنفسهم فيها شبراً فضلاً عن أن يُوكَلوا
في منحها لمن يشاءون !! .

قم من الآن واقرأ عن الجنة وتعرف على ما فيها من النعيم حتى يشتاق
قلبك إليها فتحرص على ثمنها .

قم من الآن واقرأ^(٢) عن درجات الجنة ، قم واقرأ عن بناء الجنة
وغرفها ، قم واقرأ عن بساطينها وأشجارها وزروعها وثمارها ، قم واقرأ عن
سررها وفرشها ، قم واقرأ عن حورها ، قم واقرأ عن طيرها وخيلها وإبلها ،
قم واقرأ عن خمرها ولبنها وعسلها ولحمها ، قم واقرأ عن خلودها ودوام
نعيمها ، ومهما قرأت عنها في الكتاب والسنة ، وتعرفت على ما فيها فإن
ما تعرفه عنها لا يساوي شيئاً يذكر بجوار ما أكنه الله تعالى لك فيها ،
وأجمله بقوله تعالى ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (٣٥) [ق : ٣٥] ،
﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) .

[السجدة : ١٧] .

(١) فتح الباري (٦٦/٢) .

(٢) يمكنك أخي الحبيب أن تقرأ عن صفحة الجنة في كتاب التذكرة للإمام القرطبي ، وكتاب الرقائق
من صحيح البخاري ، وطريق المهجرتين لابن القيم وغير ذلك .

ولعلي لو ذكرت حد النعيم الذي يناله أدنى أهل الجنة لكان أصح لقلبك وأكثرها تشويقاً له إلى الجنة .

أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن المغيرة بن شعبه أن رسول الله ﷺ قال: « سأل موسى عليه السلام ربه فقال : يا رب ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ . قال : هو رجل يأتي بعدما يدخل أهل الجنة الجنة ، فيقول : أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ، فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ ، فيقول : رضيت رب ، فيقول : لك ذلك ومثله معه ، ومثله ، ومثله ، فقال في الخامسة : رضيت رب ، فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ، قال يارب فأعلاهم منزلة ؟ ، قال : أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدي ، وختمت عليها ، فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر » ^(١) .

إن السر - في كثير من الأحيان - في تفريطنا في الجنة : هو أننا لم نعرفها بعد ، ولم يتأمل أكثرنا صفاتها التأمل الذي يشبع القلوب بحبها ، ولو عرفناها لهان علينا كل بذل وجهد في سبيلها .

وصدق من قال : « من عرف ما يطلب ، هان عليه ما يبذل » .

أخي الحبيب :

أما وقد عرفت ثمن الجنة « من صلى البردين » فإنه حريٌّ بك أن تسعى في عقد الصفقة ، فبادر ولا تضيع .

إن الناس من حولك إذا قرأوا في الصحف إعلاناتاً عن بيع قصر من

(١) مسلم بشرح النووي : كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ، ط دار المنار ، القاهرة ، ط الأولى ١٩٩٧ م .

القصور « أو قبيلاً كما يسمونها » توشك مقل أعينهم أن تطير ومهج قلوبهم أن تنخلع من أجل أن يعرفوا محتويات هذا القصر وغرفة ، خصوصاً إذا كان المعلن بارعاً في إعلانه ، كأن يذكر أن القصر يطل على البحر وبه حديقة وحمام سباحة ، وعشرين غرفة ، وجراج للسيارة وأرضيته من الرخام ... إلخ .

« ولربنا ولكلام ربنا المثل الأعلى » فوالله ما يبلغ أي إعلان - مهما كانت براعة كاتبه عن قصر من القصور - ما بلغه كلام ربنا من الروعة والجلال في إعلانه عن الجنة وثمنها في القرآن وآيه .

يعرض لك السلعة ، ويعينك ويرشدك إلى جمع ثمنها ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين : ٢٦] .

سابعا : صلاة الفجر تمنحك النظر إلى وجه الله الكريم :

القلوب التي تمنح معرفة ربها - سبحانه - تحبه وتشتاق إلى لقاءه ، والتلذذ بالنظر إلى وجهه الكريم .

وهذا أفضل عطاء وخير جزاء تتمناه القلوب المشتاقة والنفوس التواقية ، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ ، فيقولون ألم تبيض وجوهنا ؟ ، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ؟ ، قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم وهي الزيادة ، ثم تلا الآية ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ .

[يونس : ٢٦] (١) .

(١) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم .

قال ابن كثير - رحمه الله - بعد أن ذكر جملة من الأحاديث في النظر إلى وجه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَجْهُ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴾ (٢٢) إلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (٢٣) ﴿ [القيامة : ٢٢ ، ٢٣] :

« وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة ، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام » (١) .

فلما كان نظر أهل الجنة إلى وجه الله تعالى محل اتفاق ، جعلت قلوب المؤمنين تحن إليه ، وتسلك السبيل إليه .

يقول عبد الله بن محمد : « سمعت امرأة من المتعبدات تقول - وهي باكية والدموع على خدها جارية - : والله لقد سئمت من الحياة حتى ولو وجدت الموت يباع لا شتريته شوقاً إلى الله تعالى وحباً للقاءه ، فقلت لها فعلي ثقة أنت من عملي ؟ ، قالت : لا ، ولكن لحبي إياه وحُسن ظني به ، أفتراه يعذبني وأنا أحبه » (٢) .

وكان الخواص - رحمه الله - يضرب على صدره ويقول : واشوقاه لمن يراني ولا أراه (٣) .

وقال الجنيد - رحمه الله - :

بكى يونس عليه السلام حتى عمى ، وقام حتى انحنى ، وصلى حتى قعد ، وقال : وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من نار لخصتته إليك شوقاً مني إليك » (٤) .

(١) تفسير القرآن العظيم (١٥٧/٨) .

(٢) ، (٣) ، (٤) الأخبار الثلاثة في إحياء علوم الدين (٤/٤٩٧ ، ٤٩٨) .

وفي يوم أحد قال عبد الله بن جحش لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : ألا تدعو الله ؟ ، فخلوا في ناحية ، فدعا عبد الله بن جحش فقال : يارب أقسم عليك إذا لقيت العدو غداً فلقيت رجلاً شديداً بأسه شديداً حرده أقاتله فيك ويقاتلني ، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني ويقر بطني ، فإذا لقيتك غداً قلت لي : يا عبد الله من جدع أنفك وأذنك ؟ ، فأقول : فيك يارب وفي رسولك ، فتقول صدقت : ، قال سعد : فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقان في خيط ^(١) .

أرأيت الشوق إلى الله - تعالى - كيف صنع بهم ؟ .

أما اشتاقت نفسك إلى معرفة الطريق الذي به تمنح لذة النظر إلى وجه ربك الكريم ؟ ، أما إن كان قد حصل لك الشوق فإن الطريق واضح ، دلنا عليه هادينا ومخرجنا من الظلمات إلى النور ﷺ .

أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن جرير بن عبد الله قال : كنا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال : « أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون - أو لا تضاهون - في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ، ثم قال : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ » [طه : ٣٠] ^(٢) .

أعيزك بالله - أخي - من أن تعرف الطريق ثم تشغل عنه .

(١) أورده الغزالي في الإحياء (٤ / ٤٥٦) ، وقال الحافظ العراقي : أخرجه الطبراني وأبو نعيم في الحلية وإسناده جيد .

(٢) البخاري برقم (٥٧٣) ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة الفجر (٢ / ٦٦) « فتح » .

قال أبو سليمان الداراني : « من كان اليوم مشغولاً بنفسه فهو غداً مشغول بنفسه ، ومن كان اليوم مشغولاً بربه فهو غداً مشغول بربه (١) .

فاللهم اشغلنا بك ولا تشغلنا بغيرك ، ومن شغلنا عنك فأشغله بك عنا ، اللهم لا تحرمننا لذة النظر إلى وجهك الكريم .

ثامناً : صلاة الفجر شهادة خاصة للمحافظ عليها :

لقد كان أخي المسلم من فضائل صلاة الفجر أن جعلها الله تعالى شهادة خاصة للمحافظ عليها ، ذلك أنه يشهدا ملائكة كرام غير الذين يشهدون بقية الصلوات (٢) ، - هي وصلاة العصر - .

قال رسول الله ﷺ : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادي ؟ ، فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون » (٣) .

قال القاضي عياض - رحمه الله - :

والحكمة في اجتماعهم في هاتين الصلاتين من لطف الله تعالى بعباده وإكرامه لهم بأن جعل ملائكته في حال طاعة عباده لتكون شهادتهم لهم بأحسن الشهادة (٤) .

(١) إحياء علوم الدين (٤ / ٤٣٠) .

(٢) نقل ابن حجر عن القرطبي « شارح صحيح مسلم » أنه قال : « الاظهر عندي أنهم غير الحفظة » ثم عقب بقوله : ويقويه أنه لم ينقل أن الحفظة يفارقون العبد ولا أن حفظة الليل غير حفظة النهار « فتح الباري (٢ / ٤٤) .

(٣) صحيح البخاري رقم (٥٥٥) ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب : فضل صلاة العصر (٢ / ٤٣) . « فتح » .

(٤) فتح الباري (٢ / ٤٤) .

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - :

« الحكمة في سؤال الله تعالى للملائكة - وهو بكل شيء عليم - استدعاء شهادتهم لبني آدم بالخير ، واستنطاقهم بما يقتضي التعطف عليهم ، وذلك لإظهار الحكمة في خلق نوع الإنسان في مقابلة من قال من الملائكة : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] ، أي قد وجد فيهم من يسبح ويقدر مثلكم بنص شهادتكم » (١) .

أرأيت كيف يباهي الله بالمحافظين عن صلاة الفجر « والعصر » ملائكته ويرد تساؤلهم عن خلق الإنسان بشهادة من كلامهم في حق الإنسان « وتركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون » .

إن الناس - الآن - يبذلون بلا حدود ليحصلوا على شهادة تقدير عليها توقيع أو إمضاء من مسئول كبير ، ويضعونها في أفخم « البرايز » ويتخيرون لها أظهر مكان في البيت أو مكتب العمل ويضعونها فيه للتدليل على كفاءتهم وتفانيهم في العمل ! .

أمّا للحصول على شهادة تقدير من الذي كل شيء عنده بمقدار وميزانه بالذر والمثقال - فإننا لله وإنا إليه راجعون ، ماتت الهمم ، ولم يعد يطلبها إلا قليل من عباد الله المؤمنين ، نحسبهم أولئك الذين يخرجون في العتمات والظلم لصلاة الفجر ، كل الليالي عندهم كلية القدر (٢) ، فاللهم اجعلنا منهم .

(١) فتح الباري (٢/٤٦) .

(٢) أي : في جدهم واجتهادهم في العبادة يحيون كل الليالي .

تاسعاً : صلاة الفجر مفتاح للنصر :

إن للصلوات عموماً مع النصر على الأعداء مواقف كثيرة ، فقد كان النبي ﷺ يستنفر الناس للجهاد في أدبار الصلوات وكان يسير جيوشه ويبعث سراياه من المسجد ، ويعقد لهم الألوية في المسجد ، فكانت الكتائب - التي لم يتخلف فيها رجل عن صلاة جماعة - تنطلق وهي واثقة بوعد ربها سبحانه .

وقد أخرج البخاري بسنده أن رسول الله ﷺ : « كان إذا أتى قوماً بليل لا يغير عليهم حتى يصبح ^(١) ، وإذا لم يقاتلهم في أول النهار انتظر حتى تزول الشمس » ^(٢) .

وقال النعمان بن مقرن رضي الله عنه :

شهدت القتال مع رسول الله ﷺ كان إذا لم يقاتل في أول النهار انتظر حتى تهب الأرواح وتحضر الصلوات ^(٣) .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « يظهر أن فائدة التأخير لكون أوقات الصلاة مظنة إجابة الدعاء » ^(٤) .

ولعل أشهر الانتصارات التي ارتبطت بصلاة الفجر هو الانتصار على يهود خيبر ، والذي قال فيه النبي ﷺ : « خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » .

(١) جزء من حديث برقم (٤١٩٧) ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر .

(٢) جزء من حديث برقم (٢٩٦٥) ، كتاب الجهاد ، باب كان النبي ﷺ : « إذا لم يقاتل أول النهار آخر القتال حتى تزول الشمس » .

(٣) البخاري برقم (٣١٦٠) ، كتاب الجزية والموادعة ، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب .

(٤) فتح الباري (١٤٧ / ٦) .

إن الجيل الذي يحقق النصر - بإذن الله - هو الجيل الذي يُعمر المساجد في صلاة الفجر كما يعمرها في صلاة الظهر والعصر ، هو الجيل الذي يدرك أن ما يوجه لصفوف المصلين من أوامر بتسوية الصفوف وسد ما فيها من الخلل واستقامتها هو البداية لاستقامة صف المجاهدين الذين يحققون النصر على الأعداء .

أما جيلنا المعاصر فأمره عجب ، أصبحت صلاة الفجر كأنها صلاة خاصة للعجائز والطاعنين في السن وأين الشباب ؟ .

أصبح الشباب - إلا من رحم ربك - لا يطبق صبراً على سماع توجيهات الإمام في الصلاة من نحو الأمر بالاستقامة وغيره ، وسمعت بعض الشباب ونحن قيام للصلاة والإمام يأمر بتسوية الصفوف ويقول : استقيموا ، فإذا بأحدهم يقول « استقمنا » ^(١) ، « خلّص » بطريقة الذين يرجفون في الصفوف بما يشبط العزائم عن تسوية صفوف الصلاة أو صفوف الجهاد !! .

وقد أدرك أعداء الإسلام أثر فتور المسلمين عن صلاة الفجر في هزيمتهم .

ويروى أن أحد الجنود المصريين بعد حرب ١٩٧٣ م ، كان يحدث جندياً يهودياً كان يعرف العربية ، فقال المصري : والله لنقاتلنكم

(١) معلوم أن هذا غاية الجهل فذاك الذي يقول « استقمنا خلّص » لا يعلم أن الأمر بالاستقامة شئ رسول الله ﷺ كما في سورة هود ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ ﴾ [هود : ١١٢] ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما قال النبي ﷺ : شيبني هود وأخواتها ، قلت له : ما شيبك في هود ؟ ، قال قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ ﴾ أفرايت كيف خاف النبي ﷺ أن لا يبلغ درجة الاستقامة بعد أن أمر بها !! .

ولنغلبنكم حتى يختبئ الواحد منكم خلف الشجر والحجر فينطق الشجر والحجر ويقول : يا عبد الله يا مسلم هذا يهودي خلفي تعالى فاقتله ، « وهو في هذا يقول بنبؤة المعصوم عليه السلام » .

فاجابه اليهودي قائلاً : لن يكون هذا حتى يصبح فجركم جمعة .
أفرايت هذه اللفتة من ذاك اليهودي التي تدق أعناق من غرتهم الأمانى، وتشبثوا بأذيال البشارات دون أن يسعوا في أن تحقق على أيديهم .
فاليهودي يخبر أن النصر للمسلمين ولكن هذا يكون عندما تمتلئ مساجدهم في صلاة الفجر كما تمتلئ في يوم الجمعة .

فاللهم ارزقنا صلاة فجر نصبح بعدها اليهود ، كما أجلاهم حبيبك صلوات الله عليه .

عاشراً : صلاة الفجر خير من الدنيا وما فيها :

بقي من فضائل صلاة الفجر - أخى المسلم - أن تعلم أنها خير من الدنيا وما فيها ، أخرج مسلم وأحمد وغيرها ، أن رسول الله صلوات الله عليه قال : « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » ^(١) .

وفي رواية أخرى عندهما - أيضاً - عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنه صلوات الله عليه قال في الركعتين قبل صلاة الفجر : « هما أحب إلي من الدنيا جميعاً » ^(٢) .

ألا فليسمع الذين يحبون الدنيا الفانية ، ويؤثرونها على الآخرة

(١) مسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب ركعتي الفجر .

(٢) مسلم : نفس الكتاب والباب السابقين .

الباقية ، ألا فليسمع الذين يتهاوشون على متاع الدنيا برغم أن الله تعالى قال عنه ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ .

[النساء : ٧٧] .

ألا فليسمع الذين صار هواهم في غير هوى النبي ﷺ ، هو يحب ركعتي الفجر ويفضلهما على الدنيا وما فيها ، وهم يحبون الدنيا ويركعون لها ويسجدون ويحمدوها يسبحون ، وهو الذي يقول : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

وبعد :

فهذه أخي بعض الفضائل لصلاة الفجر ، ومهما عددنا فيها تبقى منطوية على كثير من الفضائل لا نعلمها ، ولو علمها الناس لتسابقوا إليها ولو حبواً ، وهذا ما أخبرك به مجملأً حبيبك ﷺ بقوله : « لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا ^(١) عليه لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير ^(٢) ، لاستبقوا إليه ولو يعلمون ما في العتمة ^(٣) ، والصبح لأتوهما ولو حبواً » ^(٤) .

فهل تحققت - أخي الكريم - من صدق قول المؤذن وهو يناديك لصلاة الفجر [الصلاة خير من النوم] ؟ .

(١) يستهموا : أي يضربوا قرعة .

(٢) التهجير : قيل هو التذكير إلى كل الصلوات ، وقيل هو الإتيان إلى صلاة الظهر في أول الوقت ويكون مشتكى من الهاجرة وهي شدة الحر (فتح الباري ٢ / ١٢١) .

(٣) العتمة : صلاة العشاء .

(٦) البخاري برقم (٢٦٨٩) ، كتاب الشهادات ، باب القرعة في المشكلات (٣٦٢ / ٥) « فتح » .

وأحسبك تحققت وأيقنت ... فهل أدلك على بعض الوسائل التي
 يمكن أن تستعين بها بإذن الله للمحافظة على صلاة الفجر .
 هذا ما سأحدثك عنه في المبحث القادم بمشيئة الله تعالى .



الخطوات العملية
للمحافظة على صلاة الفجر

الخطوات العملية للمحافظة

على صلاة الفجر

إن الناس قد جبلوا على حب الخير ، قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (٨) [العاديات : ٨] ، وحب الخير شيء جميل ، ولكن إن قُصِرَ على حب خير الدنيا فهو داخل في قوله تعالى : ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) [القيامة : ٢٠ ، ٢١] .

وهذه الفطرة - فطرة حب الخير - في الإنسان جعلته حينما يريد الحصول على أي خير لا يبالي بما يبذله من جهد في سبيل الحصول على هذا الخير .

ألا ترى كيف يصبر المريض على مرارة الدواء ، وعلى خطوات العلاج التي قد تطول ، وما ذاك إلا للحصول على الشفاء .

ألا ترى كيف يصبر العامل في عمله على عنت وإرهاق العمل وسهره وما ذاك إلا ليحصل على أجر يعينه على مشاق الحياة .

ألا ترى كيف يتعلم الجميع فنون البيع والشراء والعرض والطلب ، وينظمون لذلك خطوات تضمن لهم تحقيق أعلى عائد ممكن .

بل أنت ترى كيف ينظم طلاب الدنيا وعُباد الدينار والدرهم أوقاتهم ، ينام بحساب ويأكل بحساب ، ويقابل فلان في الوقت الفلاني ، وفلان في الوقت الفلاني ويحدد التوقيت المناسب لعقد الصفقة الفلانية والسفر في الوقت الفلاني والقُدوم في الوقت الفلاني ... وهكذا برنامج

يومي ليملأ يده ديناراً ودرهماً .

صحيح أن الإسلام ينظم أمور المسلم الدنيوية بحيث يقسم المسلم وقته بنظام دقيق ، ولكن تنظيم المسلم دنياه نابع من تنظيمه لأموال آخرته ، فمثلاً تنظيمه لمواقيت البيع والشراء والسفر والقدوم والنوم واليقظة ، نابع من التزامه بمواقيت الصلاة ، وكونه لا يخلف موعداً في أعماله الدنيوية نابع من أنه لا يتخلف عن صلاة الجماعة ، وكونه يتقن عمله صناعة وتجارة نابع من إتقانه في أداء العبادات التي يتقرب بها إلى ربه ، وهذا التنظيم بين أمور الدنيا والآخرة لا يجيده إلا المسلم الحقيقي ، الذي يفهم قول الله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصيبٍ ﴾ [الشورى : ٢٠] .

وقوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ [النساء : ١٣٤] .

فهلا نافستهم - أخي المسلم - لا في دنياهم ، بل في جنة عرضها السماوات والأرض ، عرض الله تعالى شيئاً قليلاً مما أعد فيها من النعيم وحال المنعمين فيها ، ثم قال لك :

﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين : ٢٦] .

﴿ لِمَثَلٍ هَذَا فَلَيعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ [الصافات : ٦١] .

وإليك يا من تريد أن تدخل السباق - للمحافظة على صلاة الفجر - عدة خطوات لعل الله أن ينفعك بها فتكون من السابقين .

أولاً : التبكير في النوم :

ففي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ كان يكرن النوم قبل صلاة العشاء

والحديث بعدها ^(١) ، فلا ينبغي للمسلم أن ينام قبل صلاة العشاء ، والمشاهد أن الذين ينامون قبل العشاء يعضون بقية ليلتهم في خمول وكدر وحالة تشبه المرض .

ولا ينبغي كذلك أن يتحدث بعد صلاة العشاء وقد بين أهل العلم سبب كراهية الحديث بعدها فقالوا : لأنه يؤدي إلى السهر ، ويُخاف من غلبة النوم عن قيام الليل ، أو عن صلاة الصبح في وقتها الجائز ، أو المختار أو الفاضل .

والمكروه من الحديث بعد صلاة العشاء كما قال الشراح ^(٢) : هو ما كان في الأمور التي لا مصلحة راجحة فيها ، أما ما كان فيه مصلحة وخير فلا يكره كمدارسة العلم ومعرفة سير الصالحين وحكاياتهم ومحادثة الضيف ، ومؤانسة الزوجة والأولاد ، وملاطفتهم ومحادثة المسافرين بحفظ متاعهم وأنفسهم وغير ذلك من الأمور المباحة .

ولكن حتى هذا السمر المباح الذي فيه مصلحة وخير إذا كان سيترتب عليه ضياع صلاة الصبح وعدم إدراكها فينبغي عدم الإفراط فيه ، والناس يتفاوتون في الحاجة إلى النوم ، وفي المقدار الذي يكفيهم منه ، فلا يمكن تحديد ساعات معينة يفرض على الناس أن يناموا فيها ، لكن لكل واحد أن يلتزم بالوقت الكافي لنومه نوماً يستيقظ بعده لصلاة الفجر نشيطاً ، فلو علم بالتجربة والعادة أنه لو نام بعد الحادية عشر ليلاً - مثلاً - لم يستيقظ

(١) البخاري : برقم (٥٦٨) ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب ما يكره من النوم قبل العشاء .

(٢) راجع في هذا تعليقات الحافظ ابن حجر على الأبواب الثلاثة من كتاب مواقيت الصلاة في صحيح

البخاري وهي « باب ما يكره من السمر بعد العشاء » ، و « باب » السمر في الفقه والخير بعد

العشاء » ، و « باب » السمر مع الضيف والأهل » فتح الباري (٢ / ٩٠ - ٩٥) .

لصلاة الفجر ، فإنه لا يجوز له شرعاً أن ينام بعد هذه الساعة ... وهكذا .
 وإذا كان السهر في الأمور المباحة أو المستحبة كمدارسة العلم وقيام الليل يؤدي إلى فوات صلاة الفجر ينبغي عدم الإفراط فيه ، فإن من باب أولى أن يكون السهر في ليالي الأُنس والطرب كما يسمونها ، أشد منه حرمة ومنعاً .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في تعليقه على ترجمة باب ما يكره من السمر بعد العشاء :

« والمراد بالسمر في الترجمة ما يكون في أمر مباح لأن المحرم لا اختصاص لكراهته بعد صلاة العشاء، بل هو حرام في الأوقات كلها »^(١).

ثانياً : صدق النية والعزيمة عند النوم :

إن من المقطوع به أن من صدّقَ الله في نيته صدّقَهُ الله في عونه وتوفيقه .

فإذا أويت إلى فراشك فأنوِ القيام لصلاة الفجر ، وأقول لك هذا لأن هناك الكثيرين يأوي الواحد منهم إلى فراشة وهو يتمني ألا تدق الساعة المنبهة ، وألا يطلع النهار ، وألا يأتي أحد لإيقاظه ، وبالطبع لن يستطيع بهذه النية الفاسدة أن يقوم لصلاة الفجر .

ناد نفسك دوماً وقل :

يا طويل الرقاد والغفلات	كثرة النوم تورث الحسرات
إن في القبر نزلت إليه	لرقاداً يطول بعد الممات

ومهاداً ممهداً لك فيه بذنوب عملت أو حسنات
أمنت البيات من ملك الموت وكم نال آمناً ببيات

ثالثاً : الحرص على الطهارة وقراءة الأذكار قبل النوم :

فهذا من الخطوات التي تعين على الاستيقاظ لصلاة الفجر ، ذلك أن الطهارة والأذكار تضمن نشاط البدن والروح معاً .

وتأمل يا أخي هذا الدعاء وأنت تقولهُ عندما تأوي إلى فراشك :
« اللهم إن أمسكت روحي فارحمها ، وإن أرسلتها فاهدّها لما تهدي إليه
عبادك الصالحين » ، وهل هناك أحب إلى نفوس عباد الله الصالحين من
صلاة الفجر يهديهم ويوفقهم إليها ؟ .

وتأمل - أيضاً - توجيه النبي ﷺ لك عند النوم : « إذا أتيت
مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل :
« اللهم أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري
إليك ، وألجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجأ
منك إلا إليك ، أمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت ، فإن
مِتْ مِتْ عَلَى الْفِطْرَةِ » ^(١) ، وزاد مسلم في روايته : « وإن أصبحت
أصبت خيراً كثيراً » ^(٢) .

وأي خير يصيبه المسلم بعد التوفيق للقيام لصلاة الفجر ؟ ، وقد قال
النبي ﷺ في ركعتي الفجر : « هما خير من الدنيا وما فيها » ^(٣) .

(١) البخاري برقم (٦٣١١) ، كتاب الدعوات ، باب إذا بات طاهراً .

(٢) مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب الدعاء عند النوم .

(٣) سبق تخريجه .

رابعاً : ذكر الله تعالى عند الاستيقاظ مباشرة :

فإن بعض الناس قد يستيقظ في أول الأمر ثم يعاود النوم مرة أخرى ، أما إذا بادر بذكر الله أول استيقاظه انحلت عقدة من عقد الشيطان وصار ذلك دافعاً للقيام ، فإذا توضأ اكتملت العزيمة وتباعد الشيطان ، فإذا صلى أخزى شيطانه وثقل ميزانه ، وأصبح طيب النفس نشيطاً .

خامساً : الاستعانة على القيام للصلاة بالأهل والصالحين :

وهذا داخل بلا ريب في قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [المائدة : ٣] ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرُ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر] .

فعلى المسلم أن يوصي زوجته مثلاً بأن توقظه لصلاة الفجر ، وأن تشدد عليه في ذلك ، مهما كان متعباً أو مرهقاً ، وعلى الأولاد أن يستعينوا بأبيهم في الاستيقاظ للصلاة ، ولا يقولن أب إن عندهم اختبارات ، وهم متعبون فلا دعنهم في نومهم إنهم مساكين ، ولا يصلح أن يقول ذلك ولا أن يعتبره من رحمة الأب وشفقته ، فإن الرحمة بهم والحدب عليهم هو في إيقاظهم لطاعة الله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه : ١٣٢] .

وكما يكون التواصي والتعاون على صلاة الفجر بين الأهل كذلك يجب أن يكون بين الإخوان في الله ، فيعين بعضهم بعضاً ، مثل طلبه الجامعات الذين يعيشون في سكن متقارب ومثل الجيران في الأحياء ،

يترك الجار باب جاره ليوقظه للصلاة ويعينه على طاعة الله (١) .

سادساً : استخدام وسائل التنبيه :

ومنها الساعة المنبهة ، ووضعها في موضع مناسب ، فبعض الناس يضعها في مكان قريب من رأسه فإذا دقت أسكتها فوراً ، وواصل نومه ، فمثل هذا يجب أن يضعها في مكان بعيد عن متناول يده لكن بحيث يسمعها فيستيقظ ، وفي هذه الخطوة ينبغي ألا يضبط المنبه على وقت متقدم عن وقت الصبح كثيراً ، إذا علم من نفسه أنه إذا قام في هذا الوقت قال لنفسه : لا يزال معي وقت طويل فأرقد قليلاً ، وكل أعلم بسياسة نفسه ، ولقد حمل الصدق والإخلاص في الطاعة بعض الحريصين على استخدام المنبهات بطريقة عجيبة تعينهم على الاستيقاظ : فمن ذلك أن أحدهم كان يضع عنده عدة منبهات إذا نام ويجعل بين موعد تنبيه كل وحدة والأخرى بضع دقائق حتى إذا أطفأ التي دقت أولاً ، دقت الثانية بعدها ، حتى يستيقظ (٢) .

سابعاً : عدم الإكثار من الأكل قبل النوم :

فإن الأكل الكثير من أهم أسباب النوم الثقيل ، ومن أكل كثيراً تعب كثيراً ، ونام كثيراً ، وخسر كثيراً ، وتحسر عند الموت كثيراً (٣) ، فليحرص الإنسان على التخفيف من العشاء ، وليجعل المعدة مثثة بين الماء والطعام والنفس كما في الحديث ، وليعجل بالطعام بعد المغرب مباشرة حتى

(١) انظر : شكاوى وحلول ، لفضيلة الشيخ / محمد صالح المنجد ، من موقعه على الانترنت .

(٢) المرجع السابق .

(٣) انظر : إحياء علوم الدين (١ / ٥٢١) .

يهضم الطعام في تلك الفترة التي يخرج فيها لصلاة العشاء ونحو ذلك ، فيخف على المعدة .

أما ما يفعله بعض الناس من تأخير طعام العشاء إلى نحو الساعة الحادية عشر والثانية عشر ، فمثله كمثل الذي ينام ويضع على صدره حجراً ثقيلاً .

ثامناً : الاستعانة بالقيلولة بالنهار :

فإن الراحة في وقت القيلوللة بالنهار تجعل نومك بالليل معتدلاً ومتوازناً ، وقد قال النبي ﷺ : « قِيلُوا فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَقِيلُ » (١) .

ولكن احذر في نومة القيلوللة أن تَغُطَّ فيها فتضيع صلاة العصر فهي الصلاة الوسطى - على أرجح الأقوال - التي أوصى بها ربنا تعالى .

تاسعاً : عدم الانفراد في النوم :

لئلا يغلب النوم عليك فلا يكون عندك من يوقظك ، وقد نهى النبي ﷺ أن يبيت الرجل وحده (٢) .

ومن صور الانفراد في النوم :

النوم في الأماكن البعيدة التي لا يخطر على بال الناس أن فلاناً نائماً فيها ، كمن ينام على سطح المنزل دون أن يخبر أهله أنه هناك ، وكمن ينام في غرفة نائية في المنزل أو الإسكان الجماعي ، فلا يعلم به أحد

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه برقم (١٦٩٣) ط المكتبة العلمية ، بيروت ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

(٢) رواه أحمد في المسند (٩١/٢) ، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٦٠) .

ليوقظه للصلاة ، بل يظن أهله وأصحابه أنه في المسجد ، وهو في الحقيقة يغط في نومه ^(١) .

عاشراً : نضح الماء في وجه النائمة :

نضح الماء على وجه النائمة - ثقل النوم - منشط له وطارده للكسل عنه ، وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى استخدام هذه الوسيلة في الإيقاظ ، فقد جاء في الحديث : « رحم الله رجلاً قام من الليل فصلي ، ثم أيقظ امرأته فصلت ، فإن أبت نضح في وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل وصلت ثم أيقظت زوجها ، فصلى ، فإن أبى نضحت في وجهه الماء » ^(٢) .

ولكن هذه الوسيلة - وهي نضح الماء - لابد من مراعاة أن النائمة قد يغضب ويثور عندما توقظه بهذه الطريقة ، وربما يشتم ويسب فلا بد من أن يتحلى الذي يوقظه بالحكمة والصبر ، ويعلم أن القلم مرفوع عن النائمة ، ولا يكون ذلك سبباً في امتناعه عن إيقاظ النائمين للصلاة .

حادي عشر : إيقاد السراج أو المصابيح الكهربائية :

إيقاد السراج أو المصابيح الكهربائية فور الاستيقاظ فإن لها تأثير في طرد النعاس بنورها .

ثاني عشر : الهمة في الاستيقاظ :

بحيث يهب من أول مرة ولا يجعل القيام على مراحل ، كما يفعل

(١) انظر : الشيخ / صالح المنجد ، شكاوى وحلول .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٥٠) ، وأبو داود في السنن برقم (١٤٥٠) ، وابن ماجه برقم

(١٣٣٦) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٤٩٤) .

بعض الناس الذين قد يتردد الموقظ على أحدهم مرات عديدة ، وهو في كل مرة يقوم فإذا ذهب صاحبه عاد إلى فراشه ، فهذا الاستيقاظ المرحلي فاشل في الغالب ، فلا مناص من القفزة التي تحجب عن معاودة النوم ^(١) .

ثالث عشر : الحذر من الخطأ في تطبيق سنة الاضطجاع :

بعض الناس قد يقوم لصلاة الفجر فيصلي السنة الراتبة ثم يريد أن يضطجع كما قال ﷺ : « إذا صلى أحدكم فليضطجع على يمينه » ^(٢) .

ولكنه قد يضطجع فينام حتى تطلع الشمس ، فلا بد من تطبيق السنة تطبيقاً صحيحاً ، حتى لا يداخله النوم مرة أخرى ، وهي كما يفعلها النبي ﷺ ليست للنوم ، فقد كان يضطجع على شقه الأيمن ويضع رأسه على كفه اليمنى ويقيم ساعده ^(٣) .

وهذه الكيفية تمنع من الاستغراق في النوم ، لأن رأس النائم في هذه الحالة يكون مرفوعاً على كفه وساعده ، فإذا غفا سقط رأسه فاستيقظ ، وعلاوة على ذلك فإن بلائاً كان موكلاً بإيقاظه ﷺ لصلاة الفجر .

وإن وجدت أنك لا تجيد تطبيقها - بحيث تضيع منك الفريضة - فلا شيء عليك لو تركتها .

رابع عشر : الاستعانة بطاعة الله تعالى بالنهار :

لعل ما يخفى على الكثيرين منا ؛ أن الطاعة يُستعان عليها بطاعة أخرى ، فكلما كان العبد في طريق الطاعة وفقه ربه وزاده فيه ، قال تعالى :

(١) انظر : فضيلة الشيخ / صالح المنجد ، شكاوى وحلول .

(٢) رواه الترمذي برقم (٤٢٠) وهو في صحيح الجامع برقم (٦٤٢) .

(٣) معنى حديث رواه أحمد في مسنده (٢٩٨/٥) ، وهو في صحيح الجامع برقم (٤٧٥٢) .

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (١٧) ﴿ [محمد : ١٧] .

وكلما كان العبد في معصية وضلال مُدّ فيه مدّاً ، قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً ﴾ [مريم : ٧٥] .

إن المعاصي تزرع المعاصي ، وكم يذنب العبد ويعاقبه مولاه وهو لا يشعر ، وأعظم عقوبة هي حرمان الطاعة وحرمان الخشوع ، قال أبو سليمان الداراني : لا تفوت أحداً صلاة الجماعة إلا بذنب (١) .

وجاء رجل إلى الحسن البصري - رحمه الله - يسأله : يا أبا سعيد ، إنني أبيت معافى وأحب قيام الليل ، وأعد طهوري فما بالي لا أقوم ؟ ، فقال : ذنوبك قيدتك (٢) .

وقال سفيان الثوري - رحمه الله - :

حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته ، قيل له : وما ذاك الذنب ، قال : رأيت رجلاً يبكي فقلت في نفسي : هذا مراء (٣) . وهذه الخطوة من أهم الخطوات التي يستعان بها على الاستيقاظ لصلاة الفجر ، وهي مجربة والله أعلم .

عظة :

كان أبو سليمان الداراني يقول : من أحسن في نهاره كوفئ في ليله ، ومن أحسن في ليله كوفئ في نهاره ، « فمن حسن الحسنات أن الرجل فينا إذا عمل حسنة كافاه الله عليها فوفقه لأداء حسنة أخرى ، وحسنة

تجلب حسنة وهلم جرا ، فإذا أردت حيازة حسنة قيام الليل ، فقدم حسنة غض البصر، وإذا رغبت في حسنة صلاة الفجر ، فقدم حسنة صدقة السر ، وإذا طلبت قلبك في الصلاة ، فلم تجد حسنة الخشوع ، فقدم حسنة التبكير إلى الصلاة وضع كلمة عروة بن الزبير رضي الله عنه حلقة في أذنك « ما من حسنة إلا وهي تدعو أختها » ^(١) .

وبعد :

أخي ، فهذه بعض خطوات عملية للمحافظة على صلاة الفجر ، وهي ليست إلا من باب الأخذ بالأسباب ، ولكن يبقى بعد ذلك توفيق الرحمن وفضله ، الذي لولاه ما ركع رакع ولا سجد ساجد ولا استيقظ للصلاة نائم ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢١) ﴿ [النور : ٢١] .



(١) انظر : د / خالد أبو شادي ، حسن الحسنات (ص ١٩) ، ط دار الراية ، القاهرة ٢٠٠١ م .

أحكام هامة تتعلق بصلاة الفجر



بعد أن عرفت ما لصلاة الفجر من فضائل ، وجهزت الأسباب التي تعينك - بإذن الله - على النهوض لصلاة الفجر ، ينبغي أن تحصل فقه الأحكام حتى تعبد الله على بصيرة ، فإن العبادة التي تقوم على فقه هي أرجى للقبول ، فالفقه يعرفك الخطأ من الصواب والسنة من البدعة .

ولهذا أسوق لك في هذا المبحث - بإذن الله - أهم الأحكام التي تتعلق بصلاة الفجر .



أحكام هامة تتعلق بصلاة الفجر أولاً: الأذن لصلاة الفجر

الأذن لصلاة الفجر حكمه أنه سُنَّة كما هو بالنسبة لبقية الصلوات لكن هناك بعض أمور لابد من إيضاحها بالنسبة لأذن الفجر .

[١] هل أذان الفجر واحد أم اثنان ؟ :

والجواب : أن السُنَّة مضت على أن أذان الفجر أذانان وليس واحداً ، أحدهما قبل دخول وقت الصلاة وهو للتنبيه والإعلام وإيقاظ الهمم ، والثاني للإعلام بدخول وقت الصلاة وتحريم الطعام على من أراد الصيام ، ولذلك كان النبي ﷺ يقول : لا يمنعن أحدكم - أو أحداً منكم - أذان بلال من سحوره فإنه يؤذن - أو ينادي - بليل ليرجع قائمكم ولينبه نائمكم ^(١) ، وقال : « إن بلالاً ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادى ابن أم مكتوم » ^(٢) .

ولم يكن بين الأذنين وقت كبير ، بل هو كما وضحته الروايات بمقدار « أن يرقى ذا وينزل ذا » ^(٣) ، يعني : أن ينزل الذي أذن أولاً ، ويصعد الذي يؤذن لدخول وقت الصلاة .

(١) البخاري برقم (٦٢١) كتاب الأذان ، باب الأذان بعد الفجر .

(٢) البخاري برقم (٦٢٠) ، نفس الكتاب والباب السابق .

(٣) البخاري برقم (١٩١٩) كتاب الصوم ، باب قول النبي ﷺ : « لا يمنعنكم من سحوركم أذان بلال » .

وقد ذكر الشيخ الألباني - رحمه الله - في تمام المنة :

« أنه يقدر بنحو ربع ساعة تقريباً » ^(١) .

وليس التأذين للفجر مرتين خاص بشهر رمضان بل هو في كل العام ^(٢) .

[٢] الحكمة في اختصاص صلاة الفجر بأذنين :

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - :

« وإنما اختصت الصبح بذلك من بين الصلوات لأن الصلاة في أول وقتها مرغّب فيه ، والصبح يأتي غالباً عقب نوم ، فناسب أن ينصب من يوقظ الناس قبل دخول وقتها ليتأهبوا ويدركوا فضيلة أول الوقت » ^(٣) .

[٣] هل كان الأذان الأول بألفاظ مخصوصة :

لقد كان الأذان الأول بنفس ألفاظ الأذان الشرعية مع زيادة قوله « الصلاة خير من النوم » ، وسيأتي ولكن ادعى بعض الأحناف أن الأذان قبل الفجر لم يكن بألفاظ الأذان ، وإنما كان تذكيراً أو تسحيراً - كما يقع للناس اليوم - وهذا مردود ، والذي يصنعه الناس اليوم ^(٤) محدث قطعاً ، وقد تضافرت الطرق على التعبير بلفظ الأذان ، فحمله على معناه الشرعي مقدم ، ولأن الأذان الأول لو كان بألفاظ مخصوصة لما التبس على السامعين وسياق الخبر يقتضي أنه خشي عليهم الالتباس ^(٥) .

(١) الألباني - رحمه الله - تمام المنة في التعليق على فقه السنة (ص ١٤٦) ، ط دار الراجعية ، الرياض ،

الطبعة الثالثة (١٤٠٩ هـ) .

(٢) فتح الباري (١٢٩ / ٢٠) .

(٣) المصدر السابق (١٣٠ / ٢) .

(٤) هذا عصر ابن حجر المتوفى (٨٥٢ هـ) .

(٥) انظر : فتح الباري (١٢٩ / ٢) .

[٤] البدع التي أضيفت إلى أذان الفجر :

قال الشيخ / السيد سابق - رحمه الله - تحت عنوان :

« ما أضيف إلى الأذان وليس منه » التسبيح قبل الفجر: قال في الإقناع وشرحه ^(١)، وما سوى التأذين قبل الفجر من التسبيح والنشيد ^(٢)، ورفع الصوت بالدعاء ونحو ذلك في المآذن فليس بمسنون ، وما من أحد من العلماء قال إنه يستحب ، بل هو من جملة البدع المكروهة لأنه لم يكن في عهده عليه السلام ولا في عهد أصحابه وليس له أصل فيما كان على عهدهم يرد إليه ، فليس لأحد أن يأمر به ولا ينكر على من تركه ، ولا يعلق استحقاق الرزق به لأنه إعانة على بدعة ولا يلزم فعله ولو شرطه الواقف لمخالفة السنة ، وفي كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي قال : وقد رأيت من يقوم بليل كثير على المنارة فيعظ الناس ويذكر ويقرأ سورة من القرآن بصوت مرتفع ، فيمنع الناس من نومهم ويخلط على المتهجدين قراءتهم ، وكل ذلك من المنكرات .

وقال الحافظ في الفتح - رحمه الله - :

« ما أحدث من التسبيح قبل الصبح وقبل الجمعة ومن الصلاة على النبي عليه السلام ليس من الأذان لا لغة ولا شرعاً » ^(٣) .

والناس الآن استعاضوا بهذه البدعة عن سنة وهي الأذان الأول ، حيث أنهم لا يؤذنون الأذان الأول ويقولون الابتهالات ويقرأون القرآن في

(١) هما من كتب الحنابلة .

(٢) النشيد هو : ما يسمى اليوم الابتهالات .

(٣) السيد سابق ، فقه السنة (١/١٠٤) ، فتح الباري (٢/١١٥) ، وتلبس إبليس لابن الجوزي

(ص ١٣٣) ، ط مكتبة القرآن ، القاهرة (١٩٩٠ م) .

مكبرات الصوت ، وبسبب هذه البدع قال من لا خلاق لهم إن صلاة الفجر تحدث ضوضاء وصخب وانطلق لسان بعضهم ينادي ارحمونا من صلاة الفجر !! .

فما أجمل الاتباع ، وما أفحش الابتداع .

[٥] التثويب في أذان الفجر :

التثويب هو : من ثاب بمعنى : رجع ، ويقصد به قول المؤذن في أذان الفجر « الصلاة خير من النوم » .

قال الشيخ / سيد سابق - رحمه الله - :

« ويشترع للمؤذن التثويب ، وهو أن يقول في أذان الصباح - بعد الحيعلتين - الصلاة خير من النوم ، قال أبو محذورة : يا رسول الله علمني سنة الأذان ، فعلمه وقال : « فإن كان صلاة الصباح قلت : الصلاة خير من النوم ، الصلاة خير من النوم ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله » ، ولا يشترع لغير الصباح » (١) .

ولكن تعقبه الشيخ الألباني - رحمه الله - فقال :

« إنما يشترع التثويب في الأذان الأول للصبح ، الذي يكون قبل دخول الوقت بنحو ربع ساعة تقريباً ، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : « كان في الأذان الأول بعد حي على الفلاح : الصلاة خير من النوم مرتين » رواه البيهقي ٤٢٣/١ ، وكذا الطحاوي في شرح المعاني (١ / ٨٢) وإسناده حسن كما قال الحافظ ، وحديث أبي محذورة مطلق وهو يشمل الأذنين ،

(١) فقه السنة (٩٦ / ١) ، والحديث رواه أحمد وأبو داود .

ولكن الأذان الثاني غير مراد ، لأنه جاء مقيداً في رواية أخرى بلفظ « وإذا أذنت بالأول من الصبح فقل : الصلاة خير من النوم ، الصلاة خير من النوم » . أخرجه أبو داود والنسائي والطحاوي وغيرهم وهو مخرج في صحيح أبي داود (٥١٠ - ٥١٦) ، فاتفق حديثه مع حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، ولهذا قال الصنعاني في سُبُل السلام (١ / ١٦٧ ، ١٦٨) ، عقب لفظ النسائي : « وفي هذا تقييد لما أطلقت الروايات ، قال ابن رسلان وصحح هذه الرواية ابن خزيمة ، قال : فشرعية التثويب إنما هي في الأذان الأول للفجر ، لأنه يُقَاطُ للنائم ، وأما الأذان الثاني ، فإنه إعلام بدخول الوقت ودعاء إلى الصلاة » . ١ . هـ . « تخرِج الزركشي لأحاديث الرافعي » ، ومثل ذلك في « سُنن البيهقي الكبرى » عن أبي محذورة : أنه كان يثوب في الأذان الأول من الصبح بأمره ﷺ ، وعلى هذا فليس « الصلاة خير من النوم » من ألفاظ الأذان المشروع للدعاء إلى الصلاة والإخبار بدخول وقتها ، بل هو من الألفاظ التي شرعت لإيقاظ النائم .

ومما سبق يتبين أن جعل التثويب في الأذان الثاني بدعة مخالفة للسُّنة ، وتزداد المخالفة حين يعرضون عن الأذان الأول بالكلية ويصرون على التثويب في الثاني ... » ^(١) .

كما تجدر الإشارة إلى أن من سمع أذان صلاة الصبح أجاب بمثل ما يقول المؤذن كما في الحديث فإذا سمع التثويب ، قال النووي : « وإذا ثوب المؤذن في صلاة الصبح فقال : الصلاة خير من النوم ، قال : سامعه : صدقت وبررت » ^(٢) .

(١) تمام المنة في التعليق على فقه السُّنة (ص ١٤٦ ، ١٤٨) .

(٢) شرح صحيح مسلم (٦٨ / ٤) .

ثانياً : راتبة الفجر

وفيها عدة وسائل هي :

[١] التفريق بين الفرض والسنة في الصبح :

كثير من الناس قد يحصل له خلط بين صلاة الصبح وراتبها ركعتي الفجر ، ومعروف « أن النبي ﷺ كان إذا سكنت المؤذن من الأذان لصلاة الصبح وبدا الصبح ركع ركعتين خفيفتين قبل أن تُقام الصلاة » (١) .

فتعرف - أخي - أن الركعتين اللتان تصليهما بين الأذان والإقامة هما سنة الفجر واللذان تصليهما بعد الإقامة هما الفريضة أو الصبح .

[٢] وقت راتبة الفجر :

قال الإمام النووي في التعليق على حديث أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها السابق : « فيه أن سنة الصبح لا يدخل وقتها إلا بطلوع الفجر » (٢) ، وهذا يعني أنك لو صليت سنة الفجر قبل الأذان ينبغي أن تعيدها لتوافق فعل النبي ﷺ لها بعد الأذان .

[٣] فضل راتبة الفجر والحث عليها :

وردت عدة أحاديث في ذلك منها : « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » ، « وهما أحب إلي من الدنيا وما فيها » (٣) ، « وركعتا

(١) مسلم بشرح النووي : كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب ركعتي سنة الفجر .

(٢) شرح صحيح مسلم (٣٥٧/٦) .

(٣) سبق تخريجهما (ص ٤٦) من هذا البحث .

الفجر لا تدعوهما وإن طردتكم الخيل » (١) .

ولفضلها يرى بعض أهل العلم استحباب قضائها حتى ولو طلعت الشمس سواء فاتت وحدها أو مع الصبح (٢) .

[٤] القراءة في رتبة الفجر :

لقد ورد أن النبي ﷺ كان يخفف القراءة في ركعتي الفجر ، فمن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ يصلي ركعتي الفجر فيخفف حتى إني أقول : هل قرأ فيهما بأمر القرآن » (٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ١ ﴾ و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١ ﴾ (٤) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ [البقرة : ١٣٦] . والتي في آل عمران ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ (٥) .

[آل عمران : ٦٤] .

ولا حرج على من قرأ بغير هذه ، وإن كان اتباع السنة أولى .

[٥] الاضطجاع بعد رتبة الفجر :

لقد ورد أن النبي ﷺ أنه كان إذا صلى ركعتي الفجر اضطجع على

(١) رواه أحمد وأبو داود وقال الشوكاني في نيل الأوطار (١٩/٣) ، قال العراقي : إن هذا حديث صالح .

(٢) انظر : فقه السنة (١٥٨/١) ، وانظر الموطأ ، كتاب الصلاة الليل ، باب ما جاء في ركعتي الفجر (١٢٤/١) .

(٣) مسلم : كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب ركعتي الفجر .

(٤) ، (٥) مسلم : نفس الكتاب والباب .

شقه الأيمن (١) .

وقال: «إذا صلى أحدكم -يعني الفجر- فليضطجع على يمينه» (٢) .
والإضطجاع يفعل من صلى السُّنة في بيته ، وهو الأفضل
المستحب (٣) ، وقد سبق وأن حذرنا من الخطأ في تطبيق سُنَّة الاضطجاع
بعد الفجر لئلا يستغرق المرء في نومه فتضيع عليه صلاة الصبح (٤) .

[٦] حكم الصلاة بين ركعتي الفجر والصبح :

لقد وردت الأحاديث تفيد أنه إذا صَلَّيت راتبة الفجر فلا يجوز التنفل
بعدها إلى أن تقام الصلاة ، وفي حديث مسلم كان رسول الله ﷺ إذا طلع
الفجر لا يصلي إلا ركعتين خفيفتين « (٥) .

قال النووي - رحمه الله - :

استدل به من قال تكره الصلاة من طلوع الفجر إلا سُنَّة الصبح وما له
سبب ونقله القاضي عن مالك والجمهور (٦) .

لكن من أذن عليه الفجر ولم يوتر ، له أن يوتر ثم يصلي ركعتي
الفجر ليس بينهما وبين الصبح نافلة .

وإن كان قد صلى راتبة الفجر في بيته ثم ذهب إلى المسجد قبل الإقامة
أيصلي تحية المسجد أم يجلس حتى تُقام صلاة الصبح ؟ .

(١) سبق تخريجه (ص ٦٠) من هذا البحث .

(٢) سبق تخريجه (ص ٦٠) من هذا البحث .

(٣) انظر : فتح الباري (٣/ ٥٤ ، ٥٥) .

(٤) انظر : (ص ٦٠) من هذا البحث .

(٥) مسلم : كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب ركعتي سُنَّة الفجر .

(٦) شرح صحيح مسلم (٦/ ٣٥٧) بتصرف يسير .

هناك خلاف بين العلماء ، وأصل الاختلاف في هذه النقطة ، راجع إلى اختلافهم حول الأوقات التي يكره فيها التنفل :

هل هي عامة في كل نفل ؟ أم أنه يستثنى من ذلك النوافل التي لها سبب « كتحية المسجد » ^(١) .

فعلى القول بأنها عامة يجلس إذا ذهب إلى المسجد ، وعلى القول باستثناء ما له سبب من النوافل يصلي تحية المسجد ، وأرى أن في المسألة سعة والله أعلم .



(١) فيرى الأحناف والحنابلة حرمة التنفل سواء كان له سبب أم لم يكن له سبب ، من وقت طلوع الفجر إلى ارتفاع الشمس قدر رمح ، إلا ركعتي الفجر في هذا الوقت قبل الصبح ولا تنعقد بعده ، أما الشافعية فإنهم يرون كراهة التنفل الذي ليس له سبب في ما بعد صلاة الصبح أداء إلى أن ترتفع الشمس وأما النافلة التي لها سبب كتحية المسجد وسنة الوضوء والاستسقاء ... فإنها تصح بدون كراهة لوجود سببها - انظر الفقه على المذاهب الأربعة (١ / ٣٢١ - ٣٢٤) .

ثالثاً : القراءة في صلاة الصبح

لقد كانت سنة النبي ﷺ في القراءة في صلاة الصبح وسطاً بين التطويل والتخفيف ، وقد وردت الأحاديث بذكر مقادير مختلفة لقراءته « بين الطول والقصر » فمن ذلك :

■ ما جاء عن أبي هريرة قال : كان النبي ﷺ يقرأ في صلاة الغداة من الستين إلى المائة ^(١) .

■ وجاء عن زيادة بن علاقة عن عمه قال : « صليت مع النبي ﷺ فقرأ في أول ركعة .. ق » ^(٢) .

وعن عبد الله السائب قال : قرأ النبي ﷺ المؤمنون في الصبح حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون أو ذكر عيسى أخذته سعدة فركع ^(٣) .

وعن عمرو بن حريث أنه سمع النبي ﷺ يقرأ في الفجر ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ^(١٧) ﴾ [التكوير : ١٧] ^(٤) .

ووردت آثار عن فعل الصحابة رضوان الله عليهم في القراءة في الصبح منها :

ما رواه البخاري أن عمر رضي الله عنه قرأ في الركعة الأولى من صلاة الصبح بمئة وعشرين آية ، وفي الثانية بسورة من المثاني ^(٥) ، وقرأ الأحنف بالكهف في الأولى وفي الثانية بيوسف أو يونس ، ذكر أنه صلى مع عمر

(١) ، (٢) مسلم في صحيحه : كتاب الصلاة ، باب القراءة في الصبح .

(٣) ، (٤) مسلم في صحيحه : كتاب الصلاة ، باب القراءة في الصبح .

(٥) المثاني : قيل ما لم يبلغ مئة آية . فتح الباري (٢ / ٣١٣) .

الصبح بهما ^(١) .

وفي الموطأ : أنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه صلى الصبح فقرأ فيها سورة البقرة في الركعتين كلتيهما ^(٢) .

وعن الفرافصة بين عمير الحنفي قال : ما أخذت سورة يوسف إلا من قراءة عثمان بن عفان إياها في الصبح من كثرة ما كان يرددها ^(٣) .

وعن نافع أن عبد الله بن عمر كان يقرأ في الصبح في السفر بالعشر السور الأول من المفصل : في كل ركعة بأمر القرآن وسورة ^(٤) .

ومن هذا ترى أنه لم يكن هناك التزام بسورة معينة في قراءة الصبح وإنما القطف من ثمار القرآن حسبما يتيسر ذلك ، ولعل الحكمة في تطويل قراءة الصبح عن غيرها أن قرآن الفجر تشهد الملائكة ، كما قال تعالى : ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٨] .

ولكن يا ترى لو قرأنا اليوم في صلاة الصبح بمئة آية أو نحوها أكان الناس يطيقون على ذلك صبراً ؟ .

في الغالب لا ، لأنه فرق بين أناس جوهم جو إيماني روحاني ، يصلون فتسيل منهم الدموع وتسكب العبرات ، وبين أناس جوهم موبوء بأمراض المعصية وأحوالها ، فالتخمة والكسل والخمول والتعجل في أداء العبادات ، طبائع أكثر الناس في هذا العصر ، فليراع هذا في طبائع الناس .

جدير بالذكر أن القول بسنية القراءة في فجر الجمعة بسورتين

(١) البخاري : كتاب الأذان ، باب الجمع بين السورتين في الركعة .

(٢) ، (٣) ، (٤) موطأ الإمام مالك : كتاب الصلاة ، باب القراءة في الصبح .

« السجدة - والإنسان » كما هو عند الشافعية ، ليس محل اتفاق ، أضف إلى ذلك أن بعض الأئمة كره ما يفعله كثير من الناس اليوم من قراءة بعض سورة السجدة وتعمد الإتيان بالسجدة في الركعة الأولى و**بعض ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾** [الإنسان : ١] في الركعة الثانية لظنهم أن يوم الجمعة فضلت بسجدة في صبحها ، وهذا جهل عظيم ، لأن النبي ﷺ قرأهما لما اشتملتا عليه من ذكر المبدأ والمعاد وخلق آدم ودخول الجنة والنار وغير ذلك مما كان ويكون في يوم الجمعة فكان كالتذكير للأمة بحوادث هذا اليوم في صبحه ^(١) .



(١) انظر : فقه السنة (١/١٣٠) .

رابعاً : القنوت في صلاة الصبح

أصل القنوت :

الطاعة والخضوع والإقرار بالعبودية ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتْهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾ [الأحزاب : ٣١] ، ويطلق على طول القيام في الصلاة والدعاء ^(١) .

ولما كان قد كثر اللغظ حول مسألة القنوت في صلاة الصبح ، أرى أن نقف سوياً على تحقيق هذه المسألة عند أهل العلم ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى عن حيى عن بينة ، وحقيقة لم أر أحداً من أهل العلم قدامى ومحدثين قد حقق مسألة القنوت كما حققها العلامة ابن القيم - رحمه الله - لذلك أسوقها لك من تحقيقه في هدي خير العباد الذي خير الهدي هديه ﷺ .

قال ابن القيم - رحمه الله - :

« وقنت في الفجر بعد الركوع شهراً ثم ترك القنوت ، ولم يكن هديه القنوت فيها دائماً ، ومن المحال أن رسول الله ﷺ كان في كل غداة بعد اعتداله من الركوع يقول : اللهم اهدني فيمن هديت ، وتولني فيمن توليت .. إلخ ، ويرفع بذلك صوته ويؤمن عليه أصحابه دائماً إلى أن فارق الدنيا ثم لا يكون ذلك معلوماً عند الأمة ، بل ضيعه أكثر أمته وجمهور أصحابه بل كلهم ، حتى يقول من يقول منهم : إنه مُحدث كما قاله

(١) انظر : المعجم الوجيز (ص ٥١٧) « مادة قنت » ، ط وزارة التربية والتعليم ، القاهرة ١٩٩٩ .

سعيد بن طارق الأشجعي ، قلت لأبي : يا أبت إنك قد صليت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم ههنا وبالكوفة منذ خمس سنين ، أفكانوا يقنتون في الفجر ؟ ، فقال : أي بني محدث « رواه أصحاب السنن وأحمد وقال الترمذي حديث حسن صحيح » .

وذكر الدارقطني عن سعيد بن جبير قال : أشهد أنني سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول : « إن القنوت في صلاة الفجر بدعة » ، وذكر البيهقي عن أبي مجلز قال : صليت مع ابن عمر رضي الله عنهما صلاة الصبح فلم يقنت ، فقلت له : لا أراك تقنت ؟ ، فقال : لا أحفظه عن أحد من أصحابنا ، ومن المعلوم بالضرورة أن رسول الله ﷺ لو كان يقنت كل غداة ويدعو بهذا الدعاء ويؤمن الصحابة لكان نقل الأمة لذلك كلهم كنعلمهم لجهره بالقراءة فيها وعددها ووقتها وإن جاز عليهم تضييع أمر القنوت منها جاز عليهم تضييع ذلك ولا فرق ، وبهذا الطريق علمنا أنه لم يكن هديه الجهر بالبسملة كل يوم وليلة ست مرات دائماً مستمراً ثم يضيع أكثر الأمة ذلك ، ويخفى عليها ، وهذا من أمحل المحال ، بل لو كان ذلك واقعاً لكان نقله كعدد الصلوات وعدد الركعات والجهر والإخفاء وعدد السجعات ومواضع الأركان وترتيبها ، والإنصاف الذي يرتضيه العالم المنصف أنه جهر وأسر وقت وتترك ، وكان إسراؤه أكثر من جهره ، وتركه القنوت أكثر من فعله ، وإنما قنت عند النوازل للدعاء لقوم وللدعاء على آخرين ، ثم تركه لما قدم من دعا لهم وتخلصوا من الأسر وأسلم من دعا عليهم وجاءوا تائبين ، فكان قنوته لعارض فلما زال ترك القنوت ولم يختص بالفجر ، بل كان يقنت في صلاة الفجر والمغرب « ذكره البخاري في صحيحه عن أنس وقد ذكره مسلم عن البراء رضي الله عنهما » .

وذكر الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قنت رسول الله ﷺ شهراً متتابعاً في الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح في دبر كل صلاة إذا قال : سمع الله لمن حمده من الركعة الأخيرة يدعو على حي من بني سليم على ركل وذكوان وعصية ويؤمن من خلفه ، رواه أبو داود ، وكان هديه ﷺ القنوت في النوازل خاصة وتركه عند عدمها ، ولم يكن يخصه بالفجر ، بل كان أكثر قنوته فيها لأجل ما شرع فيها من الطول ولا اتصالها بصلاة الليل وقربها من السحر وساعة الإجابة وللتنزل الإلهي ، ولأنها الصلاة المشهودة التي يشهدها الله وملائكته أو ملائكة الليل والنهار .

وأما حديث ابن أبي فديك عن عبد الله بن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع من صلاة الصبح في الركعة الثانية يرفع يده فيها فيدعو بهذا الدعاء : اللهم اهْدني فيمن هديت ... فما أبين الاحتجاج به لو كان صحيحاً أو حسناً ، ولكن لا يحتج بحديث عبد الله هذا ، وإن كان الحاكم قد صحح حديثه في القنوت عن أحمد بن عبد الله المزني ، حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن أبي فديك فذكره ، نعم يصح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : والله لأنا أقربكم صلاة برسول الله ﷺ ، فكان أبو هريرة رضي الله عنه يقنت في الركعة الأخيرة من صلاة الصبح بعدما يقول سمع الله لمن حمده فيدعو للمؤمنين ويلعن الكفار .

ولا ريب أن رسول الله ﷺ فعل ذلك ثم تركه فأحب أبو هريرة أن يعلمهم أن مثل هذا القنوت سنة ، وأن رسول الله ﷺ فعله وهذا رد على أهل الكوفة الذين يكرهون القنوت في الفجر مطلقاً عند النوازل وغيرها ويقولون هو منسوخ وفعله بدعة ، فأهل الحديث متوسطون بين هؤلاء وبين

من استحبه عند النوازل وغيرها ، ويقولون : هو منسوخ وفعله بدعة ، فأهل الحديث متوسطون بين هؤلاء وبين من استحبه عند النوازل وغيرها وهم أشعر بالحديث من الطائفتين فإنهم يفتنون حيث قنت رسول الله ﷺ ويتركونه حيث تركه فيقتدون به في فعله وتركه ، ويقولون : فعله سنة وتركه سنة ومع هذا لا ينكرون على من داوم عليه ولا يكرهون فعله ولا يرونه بدعة ولا فاعله مخالفاً للسنة ، كما لا ينكرون على من أنكره عند النوازل ولا يرون تركه بدعة ولا تاركه مخالفاً للسنة ، بل من قنت فقد أحسن ومن تركه فقد أحسن « (١) .

ثم استطرد ابن القيم - رحمه الله - في التوفيق بين الأحاديث التي صحت تفيد أنه ﷺ ما زال يقنت حتى فارق الدنيا وبين الأحاديث التي تفيد أنه كان يقنت ويترك ... فذكر أن التي نصت على قنوته إلى أن فارق الدنيا ليس هو القنوت بالدعاء المعروف ، وإنما هو إطالة القيام للقراءة وهو الذي عناه النبي ﷺ بقوله : « أفصل الصلاة طول القنوت » أو : إطالة القيام بين الركوع للدعاء والثناء على الله تعالى ، والأحاديث التي نصت على أنه قنت وترك تدل على أنه قنوت النوازل ولا يختص بصلاة الصبح وحدها ، بل هو عام في كل صلاة (٢) .

ثم قال بعد التوفيق بين ما صح من الأحاديث :

« ولما صار القنوت في لسان الفقهاء وأكثر الناس هو هذا الدعاء

(١) ابن القيم : زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٦٩ ، ٧٠) ط المطبعة المصرية ومكتبتها ، القاهرة .

بدون تاريخ .

(٢) انظر : زاد المعاد (١/ ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣) .

المعروف : اللهم اهديني فيمن هديت ... وسمعوا أنه لم يزل يقنت في الفجر حتى فارق الدنيا » .

وكذلك الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة ، حملوا القنوت في لفظ الصحابة على القنوت في اصطلاحهم ، ونشأ من لا يعرف غير ذلك فلم يشك أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا مداومي عليه كل غداة ، وهذا هو الذي نازعهم فيه جمهور العلماء ، وقالوا : لم يكن هذا من فعله الراتب ، بل ولا يثبت عنه أنه فعله ^(١) .

وأرى من الخير - بعد هذا التحقيق - أن ألفت نظرك أخي المسلم إلى أن ما يحدث الآن بين المسلمين من اختلاف حول مسألة القنوت ، هذا ينكر على من قنت ، وذاك ينكر على من ترك ، وفي ظل غياب فقه الخلاف ، وفي ظل عدم تجرد النفوس من حب الظهور ، والإعجاب بالرأي يقع المحذور من إعجاب كل ذي رأي برأيه والتشنيع على الآخرين وتفسيرهم وتبديعهم ، وهذا ليس من الفقه في شيء .

فهل لك أن تقتدي بأهل الحديث في قولهم : فعل القنوت سنة وتركه سنة ، وعدم إنكارهم على من داوم عليه ، وعدم قولهم بتبديع فاعله ولا مخالفته للسنة ، وقل قولهم : من قنت فقد أحسن ومن ترك فقد أحسن .

فقط أهمس في أذنك : أن ما يفعله أكثرنا الآن - إذا قنتنا - من التطويل في مقدار القنوت حتى يصبح القنوت أطول من الصلاة نفسها ، وقد يكون هناك تجاوز في الأركان نفسها ، فلننتبه لهذا .

مسألة :

هناك مسألة مهمة وهي مسألة رفع اليدين في القنوت ، وهي مسألة فيها سعة ، فمن رفع فلا بأس ومن لم يرفع لا حرج عليه ، وقد ورد حديث عن أنس رضي الله عنه « في قصة قتل القراء » ، قال فيه : « ولقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم كلما صلى الغداة رفع يديه يدعو عليهم » ^(١) .



(١) الحديث أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (١ / ٦٠) ، وقال عنه الحافظ العراقي أخرجه البيهقي في حديث أنس بسند جيد .

خامساً : الأذكار بعد صلاة الصبح



الذكر بعد كل صلاة شيء يجعل روح المؤمن متعلقة بربها ، راجية منه أن يتقبل منها صالح العمل وأن يعينها على الطاعة ، والأذكار بعد صلاة الصبح منها ما هو عام تشترك فيه مع بقية الصلوات ومنها ما فضلت بها فصار خاصاً بها .

الأذكار التي تشترك فيها مع غيرها - صلاة الصبح - أذكر منها ما

يلي :

[١] عن ثوبان رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً ، وقال : « اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام » ^(١) . قال النووي : والمراد بالانصراف السلام .

[٢] وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من الصلاة قال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجند منك الجد » ^(٢) .

[٣] وكان ابن الزبير رضي الله عنه يقول في دبر كل صلاة حين يسلم : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه ، له

(١) مسلم في صحيحه : كتاب المساجد ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته .

(٢) مسلم في صحيحه : كتاب المساجد ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته .

النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين ، له الدين ولو كره الكافرون » ، وقال : كان رسول الله ﷺ : « يهمل بهم دبر كل صلاة » ^(١) .

[٤] وعن كعب بن عجرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « معقبات لا يخيب قائلهن أو فاعلهن دبر كل صلاة مكتوبة : ثلاث وثلاثون تسبيحة ، وثلاث وثلاثون تحميدة ، وأربع وثلاثون تكبيرة » ^(٢) .

[٥] وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وكبر الله ثلاثاً وثلاثين فتلك تسعة وتسعون ، وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، غفرت له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » ^(٣) .

[٦] وعن معاذ رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له : « أوصيك يا معاذ : لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني ذكرك وحسن عبادتك » ^(٤) .

[٧] وعن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه أنه كان يعلم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة ويقول : إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بهن دبر كل صلاة : « اللهم إني أعوذ بك من البخل ،

(١) ، (٢) ، (٣) مسلم في صحيحه : كتاب المساجد ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته .

(٤) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة والحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٩٦٩) .

وأعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك من أن أُرْد إلى أرذل العمر ،
وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر » (١) .

ومعنى أرذل العمر : البلوغ إلى حد في الهرم يعود معه كالطفل في
سخف العقل .

[٨] وعن عقبة بن عامر قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « أمرني النبي ﷺ أن أقرأ
بالمعوذتين دُبر كل صلاة » (٢) .

[٩] وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ آية الكرسي
عقب كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت » (٣) .

[١٠] وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كان رسول الله ﷺ إذا سلم من الصلاة قال :
« اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ،
وما أسرفت وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر » (٤) .

الأذكار التي فضلت بها صلاة الصبح :

[١] عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : كان النبي ﷺ يقول إذا أصبح
حين يسلم : « اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً
متقبلاً » (٥) .

[٢] وعند الترمذي أن رسول الله ﷺ قال : « من قال في دبر صلاة الفجر
وهو ثان رجله قبل أن يتكلم : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،

(١) البخاري في صحيحه : كتاب الجنائز ، باب التعوذ من فتنة القبر .

(٢) رواه أبو داود (٢ / ح رقم ١٥٢٣) والنسائي (٣ / ٦٨) وهو صحيح .

(٣) أخرجه النسائي وابن حبان ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٤٦٤) .

(٤) أخرجه الترمذي برقم (٣٧٥٠) كتاب الدعوات ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٥) أخرجه أحمد في المسند ، وابن حبان في السنن .

له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب الله له عشر حسنات ، ومحي عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وكان يومه ذلك في حرز من كل مكروه وحرس من الشيطان ، ولم ينبغ لذلك أن يدركه (١) في ذلك اليوم إلا الشرك بالله عز وجل » (٢) .

[٣] وعن مسلم ابن حارث رضي الله عنه عن أبيه قال : قال لي النبي ﷺ إذا صليت الصبح فقل قبل أن تكلم أحداً من الناس : « اللهم أجرني من النار سبع مرات ، فإنك إن مت من يومك كتب الله عز وجل لك جواراً من النار » (٣) .

وقد ورد غير ذلك أحاديث ضعاف ، فلا حاجة لنا بها .

فضل الذكر بعد صلاة الصبح :

لقد وردت أحاديث في فضل الذكر بعد صلاة الصبح من دعا بها حاز الخير كله ، ومن عمل بها اهتدى بهدي محمد ﷺ ، فمن ذلك : ما رواه الترمذي عن النبي ﷺ قال : « من صلى الصبح في جماعة ، ثم جلس في مصلاه يذكر الله حتى تطلع الشمس ، ثم صلى ركعتين كان له مثل أجر حجة وعمره وتامة » ، قال رسول الله ﷺ تامة ، تامة ، تامة » (٤) .

(١) أن يدركه : يعني أن يهلكه .

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣٨١١) كتاب الدعوات ، وقال : حديث حسن غريب صحيح

(٣) جزء من حديث رواه أحمد وأبو داود .

(٤) رواه الترمذي برقم (٥٨٦) كتاب الصلاة ، باب ذكر ما يستحب من الجلوس في المسجد بعد

صلاة الصبح حتى تطلع الشمس ، وهو جزء من حديث حسن له شواهد يتقوى بها ، انظر

الترغيب والترهيب (١٦٤/١ - ١٦٦) .

قال ابن رجب الحنبلي - رحمه الله - :

« لما كان الحج من أفضل الأعمال والنفوس تتوق إليه لما وضع الله في القلوب من الحنين إلى ذلك البيت المعظم، وكان كثير من الناس يعجز عنه، ولا سيما كل عام، شرع الله لعباده أعمالاً يبلغ أجرها أجر الحج، فيتعوض بذلك العاجزون عن التطوع بالحج » ^(١) .

فهل لك في حجة وعمرة كل يوم يا أخي، أو يوم ويوم، أو كل أسبوع؟ .
وبعد هذا الفضل والخير في الذكر بعد صلاة الصبح قد تجد كثيراً من الناس ينتظر سلام الإمام من الصلاة على أحر من الجمر حتى ينصرف ويخرج دون أن يفعل شيئاً من المعقبات التي قال النبي ﷺ : « لا يخيب فاعلهن » ودون أن يقول التسيبحات التي تحط الخطايا وإن كانت مثل زبد البحر ودون أن يسعى في عقد جوار من النار .

صبراً أخي على أذكار ما بعد الصلاة، ففيها خير كثير، ولكن من يعملها قليل كما أخبر نبيك ﷺ، ولما سأله بعض الصحابة المتعجبين ممن يعرف أبواب الخير، ولا يطرقتها فقالوا : كيف من يعمل بها قليل؟ ، قال : « يأتي الشيطان أحدكم في صلاته فيذكره كذا وكذا، فينصرف من صلاته دون أن يقول شيئاً منها » ^(٢) .

قال ابن القيم - رحمه الله - :

« عمال الآخر كلهم في مضمار السباق، والذاكرون هم أسبقهم في

(١) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، (ص ٣٥١)، ط دار الحرم للتراث، القاهرة

(١٩٩٩ م)، تحقيق محمد موسى .

(٢) هذا معنى حديث رواه الترمذي .

ذلك المضمار ، ولكن القفرة والغبار يمنع من رؤية سبقهم ، فإذا انجلى الغبار وانكشف رأيهم الناس وقد حازوا قصب السبق ، قال الوليد بن مسلم : قال محمد بن عجلان : سمعت عمر مولى غفرة يقول : إذا انكشف الغطاء للناس يوم القيامة عن ثواب أعمالهم لم يروا عملاً أفضل ثواباً من الذكر ، فيتحسر عند ذلك أقوام فيقولون : ما كان شيء أيسر علينا من الذكر ^(١) .

قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « سيروا سبق المفردون » ، قالوا : ما المفردون ؟ قال : « الذين أهتمروا في ذكر الله يضع الذكر عنهم أوزارهم » ^(٢) .



(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧٧ ، ٧٨) ط دار الحديث ، القاهرة (٢٠٠٢ م) ، ط ٤ ، تحقيق / سيد إبراهيم .

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣٥٩٦) وقال : حسن غريب ، وذكره الألباني في ضعيف الجامع (٢٣٤٠) .

سادساً : النهي عن صلاة النافلة بعد صلاة الصبح

هذه المسألة تتلخص فيمن صلى الصبح مع الجماعة ولكنه لم يدرك ركعتي الفجر ، فماذا يفعل ؟ ، يصلّيها بعد الفراغ من الجماعة ، أم ينتظر حتى تشرق الشمس ؟ .

خلاف بين العلماء :

فهناك من أهل العلم من يرى عدم جواز صلاة ركعتي الفجر لمن صلى الصبح ولم يكن صلاهما ، وقد وردت الأحاديث صحيحة صريحة في النهي عن صلاة النافلة بعد الصبح حتى تطلع الشمس ، ففي المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « نهى رسول الله ﷺ عن صلاتين : بعد الفجر حتى تطلع الشمس ، وبعد العصر حتى تغرب الشمس » ^(١) .

قال الشوكاني - رحمه الله - :

وإلى هذا القول ذهب الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق ، حكى ذلك الترمذي عنهم ^(٢) .

وهناك من أهل العلم من يرى جواز صلاة ركعتي الفجر لمن صلى الصبح جماعة ولم يصلّيهما ، فقد وردت أحاديث في ذلك « حَسَنَ العلماء أسانيداً من طرق وتكلموا في أسانيدها من طرق أخرى » ، من ذلك حديث عند أبي داود والترمذي : أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يصلي

(١) متفق عليه : البخاري برقم (٥٨٨) ، ومسلم : كتاب صلاة المسافرين ، باب الأوقات التي نهى عن الصلاة فيها ، واللفظ للبخاري .

(٢) انظر : نيل الأوطار (٢٥/٣) .

بعد صلاة الصبح ركعتين ، فقال : « صلاة الصبح أربع ؟ » فقال الرجل :
إني لم أكن صليت الركعتين اللتين قبلهما فقضيتهما الآن ، « فسكت » (١) .

قال الشوكاني - رحمه الله - :

إنما يروى هذا الحديث مرسلًا ، وإسناده ليس بمتصل ، وقول الترمذي
- رحمه الله - : إنه مرسل منقطع ليس بجيد ، فقد جاء متصلاً من رواية
يحيى بن سعيد عن أبيه عن جده قيس ، رواه ابن خزيمة في صحيحه وابن
حبان من طريقه وطريق غيره ، والبيهقي في سننه عن يحيى بن سعيد عن
أبيه عن جده قيس المذكور ، وقد أخرجه الطبراني في الكبير من طريق
أخرى متصلة ... » (٢) .

وقد انتصر الإمام الشوكاني - رحمه الله - لهذا الرأي حتى أنه أورد
حديث « من لم يصل ركعتي الفجر فليصلهما بعدما تطلع الشمس » ،
ثم قال : الحديث لا يدل صريحاً على أن من تركهما قبل صلاة الصبح لا
يفعلهما إلا بعد طلوع الشمس ، وليس فيه إلا الأمر لمن لم يصلهما مطلقاً
أن يصليهما بعد طلوع الشمس ، فليس في الحديث ما يدل على المنع من
فعلهما بعد صلاة الصبح ويدل على ذلك رواية الدارقطني والحاكم
والبيهقي فإنها بلفظ « من لم يصل ركعتي الفجر حتى تطلع الشمس
فليصلهما » (٣) .

ثم أورد حديثاً آخر يدل به على استثناء ركعتي الفجر من عموم

(١) رواه الترمذي برقم (٤٢٤) ، كتاب الصلاة ، وقال : حديث مرسل وإسناده ليس بمتصل .

(٢) نيل الأوطار (٢٥/٣) .

(٣) انظر : نيل الأوطار (٢٥/٣)

النهي عن صلاة النافلة بعد الصبح ، وهو عند أحمد وأبي داود وغيرهما ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم يصلون بعد ما صلوا الصبح فقال : ليلغ شاهدكم غائبكم أن لا صلاة بعد الصبح إلا ركعتين » ، ثم قال والحديث يدل على كراهة التطوع بعد طلوع الفجر إلا ركعتي الفجر ^(١) .

وكذلك فعل ابن حجر حيث أورد - في تعليقه على حديث باب الصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس - قولاً للنووي بأن الأمة أجمعت على الكراهة - أي الصلاة بعد الصبح - ثم تعقبه بقوله : « وما نقله من الإجماع متعقب فقد حكى غيره عن طائفة من السلف الإباحة مطلقاً وأن أحاديث النهي منسوخة ، وعن طائفة أخرى المنع مطلقاً » ^(٢) .

وربما يكون القول بجواز صلاة ركعتي الفجر بعد الصبح لمن لم يصليهما هو الأيسر والأنسب مع حال الناس ، وكلُّ أعلم بما يناسب نفسه .



(١) نيل الأوطار (٩١/٣) .

(٢) فتح الباري (٧٣/٢) بتصرف .

سابعاً : من أدرك ركعة من الصبح فقد أدرك



كان من فضل الله على الأمة أن من أدرك ركعة من صلاة الصبح قبل خروج وقتها فقد أدركها - يعني في وقتها - قال ﷺ : « من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح ... » ^(١) .

ولا شك أنه حتى لو أدرك الصلاة من أدرك من الصلاة ركعة قبل طلوع الشمس إلا أنه لا يعدل من صلى بغسل فصلى أول الوقت .



(١) البخاري برقم (٥٧٩) كتاب مواقيت الصلاة ، باب من أدرك من الفجر ركعة .

ثامناً : لو نام عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس بأيهما يبدأ بالسنة أم بالفريضة ؟

ورد حديث عن عمران بن حصين قال : سرينا مع رسول الله ﷺ فلما كان من آخر الليل عرسنا ^(١) ، فلم نستيقظ حتى أيقظنا حر الشمس ، فجعل الرجل يقوم دَهْشاً إلى طهوره قال : فأمرهم النبي ﷺ أن يسكنوا ، ثم ارتحلنا فسرنا حتى إذا ارتفعت الشمس توضع ثم أمر بلالاً فأذن ، ثم صلى الركعتين قبل الفجر ثم أقام فصلينا ... » ^(٢) .

وواضح فيه البدء بالسنة قبل الفريضة، وقد حاول بعض المالكية الاستنتاج من رواية البخاري - والتي ليس فيها ذكر لصلاة ركعتي الفجر أولاً - أنه لا يلزم قضاء السنة الراتبة لأنه لم يذكر فيه أنهم صلوا ركعتي الفجر .

ورد ابن حجر هذا فقال : « لا دلالة فيه لأنه لا يلزم من عدم الذكر عدم الوقوع ، لا سيما وقد ثبت أنه ركعهما في حديث أبي قتادة هذا عند مسلم » ^(٣) .

وهناك من يرى البدء بالفريضة « الصبح » قبل السنة « الفجر » في حق من استيقظ بعدما طلعت الشمس ، وحكمة ذلك أن وقت الصلاة قد خرج بطلوع الشمس ، وبالتالي أصبح في دائرة الحرج والإثم فالتعجيل بإبراء الذمة وأداء الواجب يُقدَّم على فعل السنة .

(١) عرسنا : التعريس هو الراحة من التعب .

(٢) رواه أحمد وهو بلفظ قريب في صحيح البخاري برقم (٥٩٥) كتاب مواقيت الصلاة .

(٣) فتح الباري (٢ / ٨٤) .

نساؤهم يصلين الفجر

فأين رجالنا !!؟

أردت في هذا المبحث أن نقف على صورة واقعية لمجتمع سلفنا الصالح - رحمهم الله - وكيف كان مجتمعهم مجتمعاً إيمانياً ، الرجل يحافظ على الصلاة ويأمر أهله ويصطبر عليها .

ولعل رؤية نساء السلف في مساجد الجماعة في صلاة الفجر لو صادفتها أعين مبصرة وقلوب واعية لكان فيها إحراج - أيما إحراج - لكثير من رجال عصرنا ممن ينامون عن تلك الفريضة ، فتدخل المسجد من مساجدنا فيدخل في نفسك أنك أخطأت المسجد فدخلت داراً للمسنين ، فأين الشباب ؟ .

أين ازدحام المساجد - في غير الجمع ؟ - أين صفوف النساء خلف الرجال ؟ ، أين بكاء الصبيان الذي كان يخفف النبي ﷺ الصلاة إذا سمعه ؟ ، أين ... ، أين ... ، أين ... ؟ .

ومن أجل أن أرسم لك هذه الصورة الواقعية لمجتمع سلفنا الصالح ومدى مشاركة النساء في الخروج للعبادة وشهود الجماعة والأعياد والحج ، لا بد من جولة ولو سريعة في كتب السنّة المطهرة ، ولنتخير منها صحيح الإمام البخاري لأن له فقهاً عظيماً في تبويبه وترجمته للأبواب ، فمثلاً :

[١] باب صلاة النساء مع الرجال في الكسوف .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « أشار بهذه الترجمة إلى رد قول من منع ذلك ، وقال يصلين فرادى ... » وقال بعد ذكر حيث الباب :

« ... فعلى هذا فقد كن في مؤخر المسجد كما جرت عادتهن في سائر الصلوات » ^(١) .

[٢] باب خروج النساء والحِيض إلى المصلى (٥٦٢/٢) فتح .

[٣] باب موعظة النساء يوم العيد (٥٦٦/٢) فتح .

[٤] باب إذا لم يكن لها جلباب في العيد (٥٦٩/٢) فتح .

[٥] باب اعتزال الحِيض المصلى (٥٧٠/٢) فتح .

قال ابن حجر - رحمه الله - :

« وفي هذا من الفوائد استحباب وعظ النساء وتعليمهن أحكام الإسلام وتذكيرهن بما يجب عليهن ، وفيه خروج النساء إلى المصلى » ، و « حتى إذا لم يكن للمرأة جلباب لتلبسها أختها من جلبابها فيخرجن ويشهدن الخير ودعوة المسلمين » ، و « قد ادعى بعضهم النسخ فقال : أمر النبي ﷺ بخروج الحِيض وذوات الخدور إلى مصلى العيد أول الإسلام والمسلمون قليل فأريد التكثير بحضورهن إرهاباً للعدو ، وأما اليوم فلا يحتاج إلى ذلك ، والنسخ لا يثبت بالاحتمال » ^(٢) .

[٦] باب من أخف الصلاة عن بكاء الصبي .

قال ابن حجر معلقاً على حديث هذا الباب : « واستدل به على جواز صلاة النساء في الجماعة مع الرجال » ^(٣) .

[٧] باب أجر المرأة إذا تصدقت أو أطعمت من بيت

(١) فتح الباري (٢/٦٦٠ ، ٦٦١) .

(٢) فتح الباري (٢/٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧١) بتصرف .

(٣) فتح الباري (٢/٢٤٨) .

زوجها غير مفسدة (١) .

[٨] باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر (٢) .

وفيهما بيان مشاركة المرأة زوجها في فعل الخير والتصدق من ماله بغير إفساد ، وأيضاً جواز دفع المرأة زكاتها لزوجها لأنه لا تجب عليها نفقته .

[٩] باب كيف تهل الحائض والنفساء - أي بالحج - (٥٠٦/٣) .

[١٠] باب طواف النساء مع الرجال (٥٨٤/٣) .

[١١] باب تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت (٦١٣/٣) .

[١٢] باب إذا حاضت المرأة بعدما أفاضت (٧١٥/٣) .

[١٣] باب ما ينهى من الطيب للمحرم والمحرمة (٦٥/٤) .

[١٤] حج المرأة عن الرجل (٨٣/٤) .

[١٥] باب حج النساء (٨٨/٤) .

وهذه الأبواب كلها تدل على مشاركة المرأة في عبادة الحج ، حتى أن بعض أهل العلم قال بجواز حج المرأة مع من تثق به ولو لم يكن زوجاً ولا محرماً (٣) .

[١٦] باب اعتكاف النساء (٣٦٦/٤) .

[١٧] الأخبية (٤) في المسجد (٣٩٩/٤) .

[١٨] باب اعتكاف المستحاضة (٣٤٣/٤) .

(١) المرجع السابق (٣٧٠/٣)

(٢) فتح الباري (٤٠٠/٣)

(٣) انظر : فتح الباري (٩١/٤) .

(٤) الأخبية : جماء خباء وهي الخيمة .

[١٩] الحائض ترجل رأس المعتكف (٢٤٣/٤) .

[٢٠] زيارة المرأة زوجها في اعتكافه (٢٤٤/٤) .

وهذه الأبواب تدل على مشاركة المرأة في عبادة الاعتكاف في المسجد في ظل الضوابط الشرعية .

وهناك أبواب أخرى أفردتها الإمام البخاري للنساء في صلاة الفجر - موضوع بحثنا - وهي :

[١] باب ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد :

وأورد البخاري في هذا الباب حديثاً بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد ، فقيل لها : لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار ؟ ، قالت : وما يمنعه أن ينهاني ؟ ، قالت : يمنعه قول رسول الله ﷺ : « لا تمنعوا إماء الله المساجد » ^(١) .

وهذا الحديث واضح في الدلالة على فقه السلف رجالهم ونساءهم ، فالنساء يخرجن إلى الصلاة وشهود الجماعات حتى في صلاة الصبح ، ولكن في ظل الضوابط الشرعية كما وضَّح ذلك رواية عند البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كن نساء المؤمنات يشهدن صلاة الفجر متلفعات بمروطهن ، ثم ينقلبن إلى بيوتهن حين يقضين الصلاة لا يعرفهن أحد من الغلس » ^(٢) .

فانت ترى في الحديث كيف كن يلتزمن بالتلفع بالمروط وهي أكسية

(١) البخاري برقم (٩٠٠) كتاب الجمعة ، باب بدون ترجمة « ويفهم منه الإذن للنساء » .

(٢) البخاري برقم (٥٧٨) كتاب مواقيت الصلاة ، باب وقت الفجر .

من صوف أو غيره لا يعرفهن أحد من الغلس - أي عتمة الليل - وترى فقه الرجال بادٍ واضح في وقوفهم عند كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، لذلك تخرج امرأة عمر رضي الله عنه وتقول ما يمنعه أن يمنعي؟ فيقول لها عمر رضي الله عنه : يمنعي من منعك قول رسول الله ﷺ : « لا تمنعوا إماء الله المساجد » ، بل إن رواية عند الإمام أحمد تضيف فقهاً جديداً للحديث جاء فيها : « كان عمر رجلاً غيوراً ، وكان إذا خرج إلى الصلاة اتبعته عاتكة بنت زيد .

فهي تجعل فقه الحديث لا يقف عند مجرد الإذن للنساء بالذهاب إلى المسجد في صلاة الفجر والعشاء ، وإنما تتعداه لبيان أن المرأة المؤمنة صلاحها من صلاح زوجها ، فلما كان عمر رضي الله عنه يخرج للصلاة ولا يضيع ، حاكته زوجته في محافظته والتزامه .

{ ٢ } باب استئذان المرأة زوجها بالخروج إلى المسجد :

وفي هذا الباب حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا استأذنت امرأة أحدكم فلا يمنعها » ^(١) .

وهذا واضح في الإذن للنساء بالذهاب إلى المساجد ، وسيأتي ما يوضح تقييد الإذن بصلاة الليل ، وقد يقول قائل : إن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : « لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن كما منعت نساء بني إسرائيل » ^(٢) ، وهذا يعني أن عدم الإذن لهن إلى المساجد أفضل .

(١) البخاري برقم (٨٧٣) كتاب الأذان .

(٢) البخاري برقم (٨٦٩) كتاب الأذان ، باب انتظار الناس قيام الإمام العالم .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - :

« وتمسك بعضهم بقول عائشة رضي الله عنها في منع النساء مطلقاً وفيه نظر ، إذ لا يترتب على ذلك تغير الحكم لأنها علقتة على شرط لم يوجد بناء على ظن ظنته فقالت : لو رأى لمنع ، فيقال عليه : لم ير ولم يمنع ، فاستمر الحكم ، حتى إن عائشة رضي الله عنها لم تصرح بالمنع وإن كلامها يشعر بأنها كانت ترى المنع ، وأيضاً فقد علم الله سبحانه ما سيحدثن فما أوحى إلى نبيه بمنعهن ، ولو كان ما أحدثن يستلزم منعهن من المساجد لكان منعهن من غيرها كالأسواق أولى ، وأيضاً فالإحداث إنما وقع من بعض النساء لا من جميعهن ، فإن تعين المنع فليكن لمن أحدثت ، والأولى أن ينظر إلى ما يخشى منه الفساد فيتجنب لإشارته ﷺ إلى ذلك بمنع التطيب والزينة » (١) .

ولا شك أن زماننا قد تغير كثير جداً عن زمان أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الذي تقول فيه لقد أحدث النساء ما لو رآه النبي ﷺ لمنعهن المساجد ، فقد أحدثت نساؤنا ما تشيب له النواصي والولدان ، فما أكثر ما يخرجن مستعطرات لابسات الملابس الضيقة ، في أبهى الزينة وهن ذاهبات إلى المسجد ، ولكن برغم هذا يبقى الحكم كما قال النبي ﷺ ، وكما وضعه لنا ابن حجر - رحمه الله - .

[٣] باب خروج النساء إلى المساجد بالليل والغسل :

وفي الباب حديث لابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « إذا

استأذنكم نساؤكم بالليل إلى المسجد فأذنوا لهن» (١) .

وهذا صريح في الإذن للنساء بالذهاب إلى المساجد بالليل والغسل - يعني العشاء والفجر - .

وقد حصلت مشاحة بين ابن عمر رضي الله عنهما لما كان يحدث بهذا الحديث - وبين ولده سالماً ، كما أخرج قصتها مسلم وغيره وفيها ، أنه لما ذكر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما هذا الحديث - السالف - قال ابن له : إذا يتخذنه دغلاً (٢) ، فضرب عبد الله في صدر ولده وقال : أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول : لا « وفي رواية » فأقبل عليه عبد الله فسبه سباً سيئاً ما سمعته يسبه مثله قط » (٣) .

وإنما قال ولد عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما قال لما رأى من فساد بعض النساء في ذلك الوقت ، وحملته على ذلك الغيرة ، وإنما أنكر عليه ابن عمر لتصريحه بمخالفة الحديث ، وإلا فلو قال مثلاً إن الزمان قد تغير وإن بعضهن ربما ظهر منه قصد المسجد وإضرار غيره لكان يظهر أن لا ينكر عليه ، وأخذ من إنكار عبد الله على ولده تأديب المعترض على السنن برأيه وعلى العالم بهواه ، وتأديب الرجل ولده وإن كان كبيراً إذا تكلم بما لا ينبغي له (٤) .

(١) البخاري برقم (٨٦٥) كتاب الأذان .

(٢) الدغل هو : الشجر الملتف ثم استعمل في المخادعة لكون المخادع يلف في ضميره أمراً ويظهر غيره « انظر الفتحة (٤٢٤/٢) » .

(٣) مسلم : كتاب الصلاة ، باب خروج النساء إلى المساجد ، إذا لم يترتب عليه فتنة .

(٤) انظر فتح الباري (٤٢٤/٢) .

[٤] باب سرعة انصراف النساء من الصبح وقلة مقامهن في المسجد :
وفي الباب حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي الصبح بغلس فينصرفن نساء المؤمنين لا يُعرفن من الغلس ، أو لا يعرف بعضهن بعضاً ^(١) .

ففي الحديث أنهن كن يشهدن صلاة الصبح جماعة في المسجد وزيادة في الحشمة يقمن فيُسرعن في الانصراف قبل خروج الرجال فلا يُعرفن ، ولا يختلطن بالرجال .

وأوضح هذا الحديث أم سلمة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم قام النساء حين يقضي تسليمه ، وهو يمكث في مقامه يسيراً قبل أن يقوم ، قالت نرى - والله أعلم - أن ذلك كان لكي ينصرف النساء قبل أن يدركهن الرجال » ^(٢) .

أرأيت يا أخي كيف كانت صورة صلاة الفجر في مجتمع سلفنا الصالح - رحمهم الله - وكيف كان فقهم وقد يختلفون في خروج النساء لشهود صلاة الصبح في جماعة المسجد ، ولكنهم وقافون عند كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويغضب أحدهم أشد الغضب إذا وُجدَ من يعارض النص برأيه وهواه ، كما رأينا في موقف عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وزجره ولده الذي قال : « إذاً تتخذ النساء الإذن بالخروج صلاة الفجر دغلاً والله لئمنعهن » .

كيف ثار عبد الله في وجهه وضرب صدره وسبه ثم قال له : أحدثك

(١) البخاري برقم (٨٧٢) ، كتاب الأذان .

(٢) البخاري برقم (٨٧٥) ، كتاب الأذان ، باب صلاة النساء خلف الرجال .

عن رسول الله ﷺ ثم تقول لا .

أما نحن الآن فنجادل ، لا في خروج النساء إلى المساجد ليلاً لصلاة الفجر ، ولكن في خروج الرجال !! .

فالرجل بالنهار يعمل عمل الحمير فإذا كان الليل انقلب كجيفة ^(١) ، حتى تطلع الشمس ثم يختلق الأعذار والمبررات لصنيع السوء الذي صنعه ، فرمما يدّعي أن العمل « الذي هو حب الدنيا » عبادة وأن الله غفور رحيم ، وأنه أفضل ممن لا يصلي ... !!! .

فلا إله إلا الله ، إن الذي يدافع في هذه القضية ويلهمك الجواب هو الشيطان ، وغداً سيتخلى عنك ، ويقول إنك برئ منك .

فيا أخي إلى الهدى ائتنا ، ولا تستهوينك الشياطين في الأرض فتدعك حيراناً ، قم فأجب داعي الرحمن الذي يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويناديك « الصلاة خير من النوم » .

قم من الآن وموعدنا صلاة الفجر ، فلعلك ليلة تقابل ليلة القدر ، فتسعد الدهر ، وتدخل بها القبر .

■ فيالك من مُضِيعٍ إن سَوِّفَتْ وَأَجَلَّتْ .

■ ويالك من مسكين إن اشترت الباقي نسيئة والفاني نقداً .

■ ويالك من وضع إن نزلت همتك عن همة النساء .

(١) هذا معنى حديث عند ابن حبان في صحيحه : كتاب العلم ، باب ذكر الزجر عن العلم بأمر الدنيا مع الانهماك فيها ، ولفظه « إن الله يبغض كل جعظري جواظ ، صخاب بالأسواق ، جيفة بالليل ، حمار بالنهار ، عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة » .

قال الإمام الغزالي - رحمه الله - وهو يذكر طرفاً من حال بعض

العباد :

« فهكذا كانت سيرة السلف الصالح ، فمهما تمرت نفسك عليك وامتنعت من المواظبة على العبادة ، فطالع أحوال هؤلاء فإنه عز الآن وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو أنجع في القلب وأبعث على الاقتداء ، فليس الخبر كالمعاينة ، وإذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع أحوال هؤلاء فإن لم تكن إبل فمعزى ، وخير نفسك بين الاقتداء بهم والكون في زمريتهم وغمارهم وهم العقلاء والحكماء وذو البصائر في الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من أهل عصرك ، ولا ترضى لها أن تنخرط في سلك الحمقى ، وتتقنع بالتشبه بالأغبياء تؤثر مخالفة العقلاء ، فإن حدثت نفسك بأن هؤلاء رجال أقوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع أحوال النساء المجتهديات ، وقل لها يا نفس لا تستنكفي أن تكوني أقل من امرأة ، فأخسس برجل يقصر عن امرأة في دينها ودنياها !! (١) .



قائمة المراجع

- [١] القرآن جل من أنزله .
- [٢] إحياء علوم الدين ، لأبي حامد الغزالي ، طبعة مكتبة الإيمان بالمنصورة ، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م .
- [٣] تصحيح وقت أذان الفجر ، للأستاذ / علي كليب ، مقال بمجلة الأزهر عدد شوال ١٤١٧ هـ .
- [٤] تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ط مكتبة الإيمان بالمنصورة ١٩٩٦ م .
- [٥] تلبيس إبليس ، لأبي الفرج ابن الجوزي ، ط مكتبة القرآن القاهرة ١٩٩٠ م .
- [٦] تمام المنة في التعليق على فقه السنّة ، للشيخ الألباني ، ط دار الراية ، الرياض ، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ .
- [٧] حسن الحسنات ، د / خالد أبو شادي ، « الكتيب العاشر من سلسلة هبي يا ريح الإيمان » ، ط . دار الراية ، ٢٠٠١ م .
- [٨] زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن القيم ، ط المطبعة المصرية ومكتبتها ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- [٩] سلسلة الأحاديث الصحيحة ، للشيخ الألباني ، ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ١٩٩٥ م .

[١٠] سُئِنَ أَبِي دَاوُدَ ، ط دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ١٩٦٩ م ،
تعليق عزت الدعاس .

[١١] سُئِنَ الترمذي ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى
١٩٨٧ ، تحقيق الشيخ / أحمد محمد شاكر .

[١٢] سُئِنَ ابن ماجه ، لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني ،
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط المكتبة العلمية بيروت .

[١٣] سُئِنَ النسائي « الكبرى » ط . دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة
الأولى ، ١٩٩١ .

[١٤] سُئِنَ الدارقطني ، ط عالم الكتاب ، بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٣ م .

[١٥] شكَاوَى وحلول ، للشيخ / محمد صالح المنجد ، من موقعه على
الانترنت .

[١٦] صحيح البخاري ، بشرح ابن حجر العسقلاني ، ط دار الحديث ،
القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م .

[١٧] صحيح مسلم ، بشرح النووي ، ط . دار المنار ، القاهرة ، الطبعة
الأولى ١٩٩٧ م .

[١٨] صحيح ابن حبان ، بترتيب ابن بلبان ، ط دار الكتب العلمية ،
بيروت .

[١٩] صحيح الجامع الصغير وزياداته ، للشيخ الألباني ، ط . المكتب
الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٩٨٦ م .

[٢٠] الفجر الصحيح ، د . مرفت السيد عوض ، مقال بمجلة الأزهر عدد
ذي الحجة ١٤١٧ هـ .

[٢١] الفقه على المذاهب الأربعة، طبعة وزارة الأوقاف المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

[٢٢] فقه السُّنة ، للشيخ / السيد سابق ، ط . المختار الإسلامي ، القاهرة .

[٢٣] في ظلال القرآن ، للشيخ / سيد قطب ، ط . دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة العاشرة ١٩٨٢ م .

[٢٤] لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ، لابن رجب الحنبلي ، ط . دار الحرم للتراث ، القاهرة ١٩٩٩ م ، تحقيق / محمد بيومي .

[٢٥] لسان العرب ، لابن منظور ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق .

[٢٦] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لأبي بكر الهيثمي ، ط دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٩ م .

[٢٧] المحلى بالآثار ، لابن حزم الظاهري ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٨ م .

[٢٨] المستدرک على الصحيحين ، للإمام الحاكم ، ط النهضة الحديثة ، القاهرة .

[٢٩] المسند ، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، ط المكتب الإسلامي ، بيروت .

[٣٠] المعجم الكبير ، للطبراني ، ط بغداد ، الطبعة الأولى ١٩٨٠ م ، تحقيق / حمدي عبد المجيد السلفي .

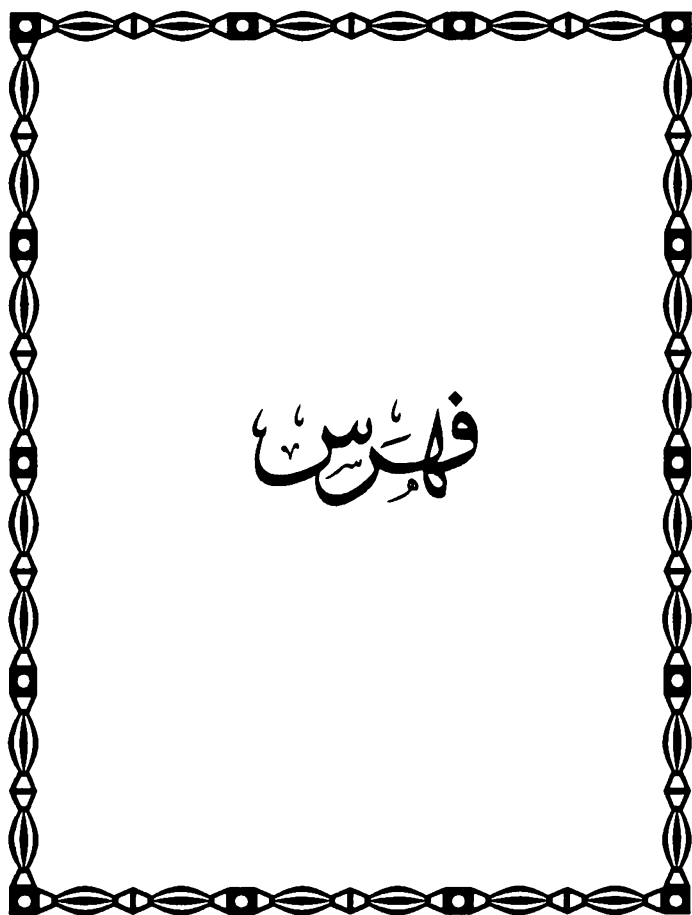
[٣١] المعجم الوجيز ، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ط وزارة التربية والتعليم ، ١٩٩٩ م .

[٣٢] المغني على مختصر أبي القاسم الخرقى ، لابن قدامة ، ط . مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .

[٣٣] الموطأ ، للإمام مالك بن أنس ، ط . دار الحديث القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٧ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

[٣٤] الوابل الصيب من الكلم الطيب ، لابن القيم ، ط . دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٢ .





الفهرس

رقم الصفحة

- الإهداء ٥
- المقدمة ١٠
- تعريف الفجر ١٣
- وقت صلاة الفجر ١٦
- فضل صلاة الفجر ٢١
- الخطوات العملية للمحافظة على صلاة الفجر ٤٩
- أولاً : التبكير في النوم ٥٢
- ثانياً : صدق النية والعزيمة عند النوم ٥٤
- ثالثاً : الحرص على الطهارة وقراءة الأذكار قبل النوم ٥٥
- رابعاً : ذكر الله تعالى عند الاستيقاظ مباشرة ٥٦
- خامساً : الاستعانة على القيام للصلاة بالأهل والصالحين ٥٦
- سادساً : استخدام وسائل التنبيه ٥٧
- سابعاً : عدم الإكثار من الأكل قبل النوم ٥٧
- ثامناً : الاستعانة بالقيلولة في النهار ٥٨
- تاسعاً : عدم الانفراد في النوم ٥٨
- عاشراً : نضح الماء في وجه النائم ٥٩

- حادي عشر : إيقاد السراج أو المصابيح الكهربائية ٥٩
- ثاني عشر : الهمة في الاستيقاظ ٥٩
- ثالث عشر : الحذر من الخطأ في تطبيق سنة الاضطجاع ٥٩
- رابع عشر : الاستعانة بطاعة الله تعالى بالنهار ٦٠
- أحكام هامة تتعلق بصلاة الفجر ٦٣
- أولاً : الأذان لصلاة الفجر ٦٤
- ثانياً : راتبة الفجر ٦٩
- ثالثاً : القراءة في صلاة الصبح ٧٣
- رابعاً : القنوت في صلاة الصبح ٧٦
- خامساً : الأذكار بعد صلاة الصبح ٨٢
- سادساً : النهي عن صلاة النافلة بعد صلاة الصبح ٨٨
- سابعاً : من أدرك ركعة من الصبح فقد أدرك ٩١
- ثامناً : لو نام عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس بأيهما يبدأ بالسنة أم الفريضة ؟ ٩٢
- نساؤهم يصلين الفجر فأين رجالنا ؟ ٩٣
- قائمة المراجع ١٠٣
- فهرس الكتاب ١٠٩



من أحدث مطبوعات دار الإيمان

فَقِيرُ الصَّلَاةِ

مع ملحق ٧٣ فُتْوَى

مِنْ فُتَاوَى اللّجَنَةِ الدَّائِمَةِ لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْإِفْتَاءِ

بمراجعة وترتيب

أبي الحسن أشرف بن محمد خمير

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

الطبعة: ١٣٩٨هـ

دار القمّة

لتوزيع الكتاب والترويج والتبليغ

توزيع: ١٤١٦هـ - ١٤١٧هـ - ١٤١٨هـ

